كنائس واديرة العراق

هوايات سيدات العائلة المالكة

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2970) السنة العاشرة

الاثنين (30) كانون الاول 2013

WWW. almadasupplements.com

4

جعفر العسكري اول وزير للدفاع في الدولة العراقية

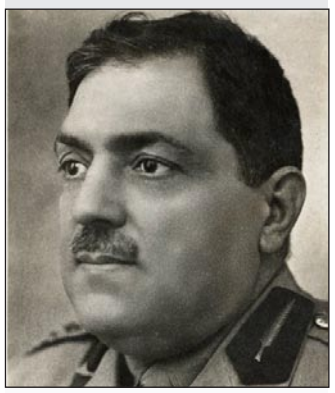

بواكير الدعوة لتحرير المرأة في العراق قبل الحرب العالمية الاولى

د. فريال صالح عمر

وفي ظل الأوضاع الجديدة التي فرضت نفسها بعد الانقلاب الدستوري العثماني عام ١٩٠٨، وفي ظل المرحلة الجديدة من اهتمام النخبة العراقية بنشر الثقافة والتعليم، كان لابد من الالتفات أيضاً إلى وضع المرأة المتخلف في المجتمع العراقي آنذاك، لكن هذا الاهتمام ظل يتطور بتردد وحذر وذلك لتفادي أي صدام فكري مع القوى المحافظة التي تعد أوضاع المرأة في المجتمع الإسلامي من الأمور القائمة والثابتة التي لاتقبل المناقشة.

أدركت النخبة المثقفة في هذا السياق أهمية تعليم المرأة كونه حاجة تخص عموم أبناء العراق، ومن منطلق أنه قد آن الأوان لتعليم البنات لأنهن أمهات رجال المستقبل، ولأن من أكبر دواعي الارتقاء وأسباب العمران تعليم المرأة، وقد كتب أحد المثقفين بهذا الصدد:

"ان الوطن لايترقى مادامت المرأة جاهلة منحطة في الآداب".

وبالإضافة لهذه الفكرة التي تربط تعليم المرأة بمصلحة تقدم ونهضة البلاد، فإن هنالك عدداً من المثقفين الذين ربطوا مابين تعليم المرأة وأدائها لوظيفتها النسائية، ففي رأي محمد باقر الشبيبي أن "المرأة أدرى من الرجل في التفكر في المستقبل، وليس المراد بها المرأة العديمة التربية والعلم التي يكون منها دثور البيت لا تعميره، ومنبع التعاسة والشقاء للأولاد لا سعادتهم، بل نريد بها المرأة الأديبة صاحبة التربية الحسنة ذات الأخلاق الفاضلة.. أما إذا كانت عديمة الآداب والمعرفة منحطة عن مكانة الشرف والإنسانية فليست هي متمة وظيفتها النسائية... وعليه كل امرأة أرادت ان تحفظ وظيفتها النسائية يجب عليها درس العلوم والآداب. ويشير الكاتب في هذا الموضع إلى قول الرسول (ص) (العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

كما أكد الشبيبي على "ان تعليم المرأة أمر ضروري أكثر من تعليم الرجل" لأنه يربط مابين التعليم وإعداد الأم الصالحة، فيقول: "المرأة العاقلة هي الحارس الأمين على الأولاد، ومن الواجب اعتبارها كثيراً لأن على ركبتها تربية العالم".

ورغم أهمية تعليم البنات بالنسبة للشبيبي، فهو يعتقد بأنه يجب أن يحدد تعليم البنات، لأن الكلمة مطلقة المعنى، فينبغي أن لا ترسل إرسالاً بل تحدد تحديداً، فهو القائل ان "بناتنا يجب أن يتعلمن تدبير المنزل، يجب أن يتعلمن القواعد العربية والتاريخ، يجب أن يكن ضليعات في اللغات الأجنبية، فإنها تساعد على التربية الصحيحة والأخلاق الفاضلة، وتعين على التبصر في الحقيقة".

ورغم ان الشبيبي يشير إلى تحديد تعليم المرأة، فإنه في الوقت نفسه يقدم في هذه السطور وجهة نظر تقدمية، وإنفتاحاً واضحاً على الثقافة الأجنبية، خاصة الفرنسية، فقد كان الشبيبي نفسه قد اجتهد في تعلم الفرنسية، وقد حاول نقل ماتعلمه من اللغة والثقافة الفرنسية إلى الجمهور العراقي، مؤكداً على الجوانب الإيجابية من تلك الثقافة وبما يتناسب مع وضع المجتمع العراقي المحافظ آنذاك. وقد أشار الشبيبي إلى إعجابه بوضع المرأة الفرنسية حين قال: "الذي يجلب الأنظار تعاطي النساء الفرنساويات الأعمال الشاقة، ومزاولتهن أنواع الصنائع والفنون لتكون لحياتهن غاية يرمين إليها، فتراهن يتهافتن في تأسيس الجمعيات، ويخدمن المصلحة العامة أحسن خدمة، ويعملن أعمالاً قلما يأتيها الرجال.

فهو يقدم في هذه السطور فكرة جديدة تماماً، فكرة الحرية التي تتمتع بها المرأة الفرنسية في ممارسة نوع العمل الذي تؤديه سواء كان ذلك عملاً خاصاً، أو عملاً في خدمة المصلحة العامة، وحالة المساواة مع الرجال في أداء الأعمال، لكن الشبيبي عندما عرض إعجابه بحرية المرأة الفرنسية وعملها في المجتمع الفرنسي، فإنه لم يكن يأمل في طلب المساواة، أو طلب حرية العمل للمرأة العراقية بقدر سعيه إلي تقديم نظرة جديدة، منفتحة إيجابية وبناءة لوضع المرأة الفرنسية، لعلها تساعد في تغيير النظرة السائدة عن المرأة في المجتمع العراقي آنذاك.

وعند الحديث عن إسهامات النخبة العراقية في الدعوة لتحسين أوضاع المرأة في المجتمع، ينبغي الإشارة إلى موقف الشاعر والمفكر جميل صدقي الزهاوي الذي انفرد بموقف جرئ جداً في هذا المضمار عندما نشر عام ١٩٠٧ قصيدة انتقد فيها الحجاب الذي رأى فيه أحد عوامل تأخر المسلمين وتبعاً لما ذكره الزهاوي فإنه قد حذا في ذلك "حذو قاسم أمين(في مصر".

وكان قاسم أمين قد نشر في العام ١٨٩٩ كتاباً صغيراً حول تحرير المرأة، وقد انطلق فيه من المسألة المألوفة: "إنحطاط الإسلام"، لكن ماهي أسباب الإنحطاط أو الفساد؟ وجواباً على هذا السؤال لايقبل قاسم أمين بأي من الأجوبة المألوفة، فهو يرى أن الفساد لم ينجم عن البيئة الطبيعية، إذ قامت في بعض العهود مدنيات مزدهرة في هذه البلدان نفسها، كما انه لم ينجم عن الإسلام، إذ أن تدهور الإسلام هو نفسه نتيجة لا سبب لتدهور القوة الاجتماعية. ان السبب الحقيقي للفساد إنما هو، في نظره، زوال الفضائل الاجتماعية، أي زوال "القوة المعنوية"، وما سبب ذلك إلا الجهل، جهل العلوم الحقيقية التي منها وحدها يمكن استنباط قوانين السعادة البشرية، ويعتقد قاسم أمين أن هذا الجهل يبدأ في العائلة، فالعلاقة بين الرجل والمرأة، وبين الأم والولد، إنما هي أساس المجتمع، والفضائل القائمة في العائلة هي ذاتها الفضائل التي تستمر في المجتمع، ولذلك يؤكد قاسم أمين على تحرير المرأة، ويرى أن "دور المرأة في المجتمع هو إصلاح أخلاق الأمة"، وفي البلدان الإسلامية لم يُرَبّ الرجال ولا النساء التربية اللازمة لإنشاء حياة عائلية حقيقية، والمرأة لاتتمتع بالحرية والمكانة اللازمين للقيام بدورها. وكان قاسم أمين قد تعرض للتأثيرات الفرنسية، خاصة فلسفة كونت اليقينية، وعلى غرار الفلاسفة الوضعيين في القرن التاسع عشر. كان أمين مقتنعاً بأن مفتاح الخلاص للمجتمع الإسلامي كامن في التغلب على الجهل ونشر المعرفة والتنوير.

ورغم تأثر الزهاوي بأفكار قاسم أمين، إلا أن الزهاوي كان مثالاً للتحرر الفكري وكانت أفكاره جريئة وجديدة، وقد عدّه البعض من دعاة الإصلاح الذين

حاولوا إنتشال المرأة مما تكابد، ودعوا إلى ضرورة تزود المرأة من حياض العلم والمعرفة حتى تعالج أمورها على بصيرة من العلم والفهم، ودعوا كذلك إلى إشراك المرأة في سائر تكاليف الحياة لتنهض مع الرجل جنباً إلى جنب.

ومما لاريب فيه أن هذه الدعوات كانت جديدة على المجتمع الشرقي المحافظ، فتلقاها بكثير من الإنكار، وارتفعت صيحات مدوية ترمي هؤلاء الدعاة بالفسق والفجور والسفه والكفر، وهذا شأن كل جديد لا عهد للمجتمع به، فكان ذلك سبباً لإثارة حركة فكرية حقيقية تمثلت في الصراع مابين الجديد والقديم، مابين جماعة المجددين الذين دعوا إلى تحرير المرأة وجماعة المحافظين الذين رأوا الإبقاء على ماهي عليه من التأخر والهوان.

ويمكن القول أن مفكرنا العراقي الزهاوي كان سبباً في إثارة المعركة عندما طلعت جريدة "المؤيد" في اليوم السابع من أغسطس (آب) عام ١٩١٠ وبها مقالة للزهاوي تحت عنوان "المرأة والدفاع عنها- صوت إصلاحي من العراق"، تناول فيها قضية المرأة تناولاً منطقياً، فيرى أن سيادة الرجل ليس لها مايبررها، فإن كانت القوة البدنية فإن هناك من الحيوان من هو أشد منه نابا وأوجع رفسا، وإن كانت القوة العقلية فإن الرجال أنفسهم يختلفون في المستوى العقلي ولم يهضم أحد منهم حق الآخر.

ثم يعدد الجوانب التي هضم فيها الرجل حق المرأة، ولقد استعرض مجموعة من

الحقوق المهضومة (حسب رأيه) بجرأة لم يسبقه إليها أحد من قبل، فكان الزهاوي حراً تماماً في طرح مثل هذه الأفكار التي لم يجرؤ أحد على الخوض فيها بكل حرية وصراحة، وهكذا يرى أحد الباحثين ان الزهاوي قد انزلق إلى الهوة وأسرف على نفسه وعلى قرائه، ففي بداية هذه المعركة كان يتتبع خطى قاسم أمين في موضوع الطلاق، إلا أن قاسماً كان أكثر فهماً وأشد عمقاً في تحليله للموضوع، وإذا كان الزهاوي قد أدخل الدين سبباً فقد أخرجه قاسم أمين حين قرأ عن شهيدات النساء المسلمات، بل حين رجع إلى أصول الإسلام الأولى ورأى مكانة المرأة السامية كما رسمها الدين، وكان قاسم أمين يتبع في جميع المواضيع التي عالجها طريقة الشيخ محمد عبده، فيحدد العرف الإسلامي بحذر، عوضاً عن التخلي عنه، ولقد لقبه الجيل اللاحق بنصير المرأة، لكنه يكاد لايستحق هذا اللقب، فهو لم يقترح مثلاً أن تمنح المرأة حقوقاً سياسية، إلا أنه، مع إقراره بأن ما من سبب مبدئي يحول دون ذلك، فهو يرى أن المرأة المصرية بحاجة إلى وقت طويل من التثقيف الفكري قبل أن تصبح جديرة بالإشتراك في الحياة العامة.

وهو مثل الشيخ محمد عبده يخاطب الذين لايزالون يؤمنون بالإسلام، فيستند في كل موقف يتخذه إلى القرآن والشريعة بعد تفسيرهما التفسير الصحيح، أو مايعده التفسير الصحيح.

لكن الزهاوي مس الدين، فقد إنتقل من الحديث عن التقاليد إلى الحديث عن التشريع. صحيح أن الزهاوي تأثر بقاسم أمين حين عرض لمسألة الحجاب، لكن أمين كان متميزاً بأسلوبه المنطقي الذي يخاطب العقل والوجدان في وقت واحد، بل إنه راح يعتمد على الإحصائيات حين عرض لموضوع الطلاق ورسم الخط البياني المرتفع الذي سجلته الإحصائيات ليثبت بما لايدع مجالاً للشك أن الأسرة منهارة فاشلة في ظل الحجاب وعدم الثقة.

لقد تأثر الزهاوي بقراءته "لتحرير المرأة"، لكنه تجاوز آراء قاسم أمين، وإشتط في مطالبه، وخانه التوفيق في العرض ولاشك أنه كان ينظر في بعض زوايا المقالة إلى موقفه من أسرته والى موقف أسرته منه، كان ينظر إلى والدته وقد حُرمت من الحياة الأسرية، وكان ينظر إلى أخوته من أبيه فلا يحس بعاطفة الأخوة، وكان ينظر إلى شريكة حياته التي حاولت أسرته أن تزوجه من غيرها حتى يظفر بنعمة الأولاد فأبى، فهو من هذه الناحية لم يناقض فيما كتب وفيما طبق في الحياة، وإذا كان البعض يأخذ عليه انه دعا للسفور ولم يسمح لزوجته بأن تخلع الحجاب، فقد فعل ذلك قاسم أمين من قبل، لأنه رأى ان للطفرة أسوأ العواقب، وان الدعوات الإصلاحية تأخذ طريقها تدريجياً إلى قلب المجتمع .

ومثلما تعرض قاسم أمين من قبل لضروب من المضايقات، تعرض الزهاوي، ولكن شتان بين الموقفين، فلم تكد تصدر المقالة في مصر حتى تتناقلها الأفواه في العراق المتمسك أشد التمسك بالتقاليد الموروثة وبوضع المرأة في ظل مجتمع محافظ، فالزهاوي لم يثر رجال الدين وحدهم، وإنما ثار العامة أيضاً، وعندما خشي عاقبة هذه الثورة كتب إلى ناظم باشا والي بغداد يومئذ يرجو من الحكومة الدستورية ان لاتقتص من الصابغين أكفهم بدمه إذا كان مايريده المحرضون، بل أن تعنى بتعليمهم وإنقاذهم من الجهل لئلا تمتد أيديهم في المستقبل إلى مفكر آخر مثله يتمنى في كتاباته إصلاحاً للأمة اجتماعياً.

وهكذا استخدم الزهاوي قضية تحرير المرأة لخدمة الإصلاح الاجتماعي، فجوهر القضية الاجتماعية هو مركز المرأة ومكانتها ووضعها في المجتمع. وهكذا أصبحت أيضاً مقاييس الحكم على الأشياء مبادئ القرن التاسع عشر الكبرى: الحرية والتقدم والمدنية، فالحرية حسب رأي قاسم أمين تعني استقلال الإنسان في التفكير وفي الإرادة وفي الفعل، شرط بقائه ضمن حدود القوانين واحترامه للمبادئ الخلقية، وعدم خضوعه، خارج هذه الحدود، لإرادة سواه، فهي أساس التقدم البشري، لكن حرية المرأة، هي بدورها، أساس جميع الحريات الأخرى ومعيار لها، فعندما تكون المرأة حرة يكون المواطن حراً.

وقد ربط قاسم أمين مابين حرية المرأة والحريات الأخرى، فهو يرى بأن الحجج المستعملة ضد حرية المرأة ماهي سوى الحجج المستعملة ضد الحرية من أي نوع كانت، كحرية الصحافة مثلاً، كما انه قد ربط مابين وضع المرأة وحالة المجتمع الشرقي بشكل عام حيث المرأة في رق الرجل، والرجل في رق الحاكم، فهو ظالم في بيته، مظلوم إذا خرج منه، أما وضع المجتمعات الغربية فهي ذات حكومات مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية، ولذلك ارتفع شأن النساء فيها إلى درجة عالية من الاعتبار وحرية الفكر والعمل.

ومما زاد من أهمية ماطرحه الزهاوي من أفكار هو إمتداد أثرها من العراق إلى مصر بما أحدثته من ردود أفعال متنوعة، فشارك بعض أدباء مصر في المعركة التي بدأت أصلاً في بغداد، وشرعوا سيوفهم يتنازعون الموقف بين مؤيد ومعارض، نثراً وشعراً. وقد تردد صدى الأفكار المعارضة للزهاوي في كتاب "المرأة في الإسلام" لمحمد حمدي النشار الشاعر، وقد أسمى مقالة الزهاوي "العراقية" بعد أن حاول شاعرنا الزهاوي التنصل منها، وسمى صاحبها "الاستاذ العراقي"، وتتبع النشار مقالة الزهاوي فقرة فقرة، فرد عليها رداً قوياً مفحماً، مبنياً على أصول الشرع وأصول المنطق في المناظرة.

وقد تم إغناء العديد من هذه الأفكار المعارضة والمؤيدة، فيما بعد، في كتابات بعض المثقفين والأدباء المصريين، لصالح اتجاهاتهم الفكرية الرامية إلى تحقيق النضج القومي والاستقلال الحقيقي.

ولم يكن الزهاوي وحده في الدعوة إلى النهضة النسوية في العراق، فلقد شارك الشاعر معروف الرصافي في هذه الدعوة التحريرية، وانفرد ديوانه بباب خاص سماه (النسائيات)، وفي هذا الباب دعا الرصافي إلى رفع الحيف الذي نزل بالمرأة وندد بالعادات والتقاليد التي جرى عليها مالكو رقها، فأذاقوها ألوان العسف، وصنوف العذاب في الحجب والتضييق والحرمان.

وأولى قصائد هذا الباب قصيدة (المرأة في الشرق)، وفيها يرجع الرصافي ماأصاب أهل الشرق من التدهور إلى إغفال شأن المرأة، وسلبها حريتها مجاراة للعادات التي درج عليها الشرقيون، فأصبحت هذه العادات قيوداً واغلالاً لايستطيعون الانفكاك من إسارها، وهكذا فقد رأى الرصافي أن نهضة الشرق لن تكتمل إلا إذا ساهمت فيها المرأة بعلمها وأدبها لأنها نصف المجتمع، ولذا قال:

هل يعلم الشرقي أن حياته
وقضى لها بالحق دون تحكم
والشرق ليس بناهض إلا إذا
فإذا ادعيت تقدماً لرجاله
من أين ينهض قائماً من نصفه
كيف البقاء له بغير تناسب؟
تعلو إذا ربى البنات وهذبا؟
فيها وعلمها العلوم وأدبا؟
ادنى النساء من الرجال قربا
جاء التأخر في النساء مكذبا
يشكو السقام بفالج متوصبا؟
والدهر خصص بالبقاء الأنسبا؟

إلا أن الرصافي لم يكن بحدة الزهاوي وجرأته عندما طرح أفكاره حول وضع المرأة في المجتمع والدفاع عن حقوقها، فقد اتجه بطروحاته نحو الإصلاح الاجتماعي، متناولاً قضايا حقوق المرأة والعائلة ضمن المجتمع الشرقي، وبالتأكيد فإن الزهاوي والرصافي عندما تهيأت لهما هذه الحرية الفكرية في طرح أفكارهما حول قضية المرأة في المجتمع الشرقي، فإنهما كانا قد تأثرا بالأنموذج الغربي، وبما وصلت إليه المرأة الغربية من مكانة وكفاءة في الغرب وبشكل خاص في فرنسا التي كانت ثقافتها وأخبارها مهيمنة في العاصمة العثمانية وفي الأقاليم التابعة لها، وهي التي كانت تؤلف البيئة الثقافية والفكرية لكاتبينا (الزهاوي والرصافي) ولكثيرين غيرهما من أبناء النخبة العراقية المثقفة.

عن رسالة (تاثير الفكر الفرنسي على النخبة العراقية)

بمناسبة ذكرى تأسيس الجيش العراقي

جعفر العسكري

اول وزير للدفاع في الدولة العراقية

كنت قبل ايام قلائل اتصفح كتابا ممتعا وجميل الاخراج اصدرته بمناسبة الذكرى الستين لتأسيس الجيش العراقي فلفتت نظري فيه صورة للفريق جعفر العسكري اول وزير للدفاع في الدولة العراقية مع نبذة عن سيرته . ووجدت في ذلك آية من آيات الوفاء العربي، وانموذجا للخلق العسكري النبيل في الاعتراف بفضل الاولين، وتسجيل خدمات المساهمين في بناء جيشنا الذي يعد مفخرة بين الجيوش العربية ودرعا حصينا من دروع الامة.

نجدة فتحي صفوة/ مؤرخ راحل

ورأيت بهذه المناسبة ان اقدم في هذه الصفحة التاريخية لمحات من سيرة ذلك الرجل لانها سيرة حافلة بالاحداث واحيانا بالمغامرات التي تصلح ان تكون مادة لقصة سينمائية مثيرة وقد انتهت نهاية روائية حزينة.

كان جعفر العسكري شخصية نادرة بين شخصيات العراق التي تسلمت مقاليد المسؤولية في البلاد في بداية تاسيس الدولة العراقية الفتية وكثيرا ما سمعنا من عارفيه عن شخصيته وخفة روحه وظرف دعابته كما سمعنا عن شجاعته ولباقته السياسية، وثقافته العسكرية والقانونية، حتى علمنا اخيرا بمصرعه على يد بعض اعوان بكر صدقي ولم يكن قد عرف عن الرجل انه اساء الى احد في حياته.

ولم يكن لقب العسكري الذي الحق باسم جعفر باشا اشارة الى مسلكه وان كان عسكريا بل نسبة الى قرية عسكر التي تنتسب اليها باصله، وهي قرية قريبة من مدينة كركوك ويبدو ان الفريق بكر صدقي الذي قاد انقلاب عام ١٩٣٦ كان أصله منها ايضا، فصار يلقب نفسه بالعسكري عملا بالقول المصري المشهور (مافيش حد احسن من حد).

ولد في بغداد سنة ١٨٨٥ وكان والده مختارا لاحدى محلاتها، ودخل المدرسة العسكرية التحضيرية فيها، ثم تخرج من المدرسة الحربية التركية في الاستانة وارسل في بعثة عسكرية للتدريب في المانيا فاقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد واشترك في حرب البلقان وجرح فيها ولما أنتهت تلك الحرب وظهرت نوايا الاتحاديين العنصرية انضم الى حزب العهد العربي وكان من انشط العاملين فيه.

ثم نشبت الحرب العالمية الاولى فعين مرافقا للاميرال الالماني فوق سوشن ومنح وسام الصليب الحديدي الالماني وكانت القيادة العثمانية العليا قد وضعت خطة للاستيلاء على مصر بمهاجمتها من الشرق والغرب في وقت واحد فتولى الفريق جمال باشا السفاح قيادة الفيلق الرابع لمهاجمة مصر من الشرق بطريق قناة السويس وعهد الى جعفر العسكري باثارة القبائل الطرابلسية في ليبيا للاغارة عليها من الغرب بطريق السلوم.

ولكن كيف يصل جعفر الى ليبيا والبحر المتوسط يزخر بيوارج الحلفاء لذا تقرر ارسال جعفر في غواصة المانية من الدردنيل الى برقة فذهب اليها ونزل الى البر بعد تبديل زيه واجتمع بالسيد احمد السنوسي واتفق معه على تدابير الحملة ولم يكتف بذلك بل توجه الى مصر متخفيا ودخلها لدراسة الحالة فيها، وعاد بعد ذلك الى تركيا فصدر الامر بتعيينه قائدا عاما في جبهة برقة بعد ترقيته الى رتبة لواء وكان حامل هذه الرتبة في الجيش العثماني يحصل على لقب باشا تلقائيا ، وسافر جعفر الى بيروت ثم استقل منها سفينة شراعية قاصدا سواحل برقة خلسة عن اساطير الحلفاء وكان ذلك في اوائل سنة ١٩١٥ وقد استغرقت هذه الرحلة المثيرة ثلاثة اسابيع واجهت السفينة خلالها مخاطر عديدة ووصلت الى مقربة من السلوم فاسرع رجالها في تفريغ حمولتها من الاسلحة والذخائر ولكن الحلفاء قبضوا عليها خلال عودتها واسروا نوتيتها بينما كان جعفر ورجاله في ليبيا يعملون على تنظيم القوات النظامية والقبائل الطرابلسية التابعة للسنوسي.

وعلى الرغم من الخطة المتفق عليها بين جعفر وجمال بالهجوم على مصر من الشرق والغرب في آن واحد، فان جمالا لم يتقيد بهذا الاتفاق لاعتقاده بانه يستطيع ان ينال هذا الفخر وحده ول يشأ ان يشرك غيره فيه، بل أستعجل الهجوم قبل أن يكمل جعفر استعدادته فكانت النتيجة ذلك الفشل الذريع الذي منيت به القوات العثمانية على قناة السويس.

اما جعفر فقد اسرع الى اجتياز الحدود المصرية بالقوات التي تمكن من تجهيزها وواصل زحفه في طريق الاسكندرية الى ان وصل مرسى مطروح فسحبت القيادة البريطانية قوات كبيرة من جبهة قناة السويس بعد ان هزمت قوات جمال باشا فيها، وجردتها على جعفر في جبهة مرسى مطروح وهاجمته من البر والبحر واشتبك الجيشان بالسلاح الابيض وجرح جعفر بطعنة سيف ثم أسر وجيء به الى القاهرة واعتقل في قلعتها.

وفكر جعفر في طريقة الهرب من القلعة فعقد عدة بطانيات ببعضها متخذا منها حبلا وتدلى في الليل من أحدى النوافذ

ولكنه كان ضخم الجثة فلم تحتمل البطانيات ثقله وانفرط عقد احداها وسقط جعفر على الارض واصيب بكسر في الركبة. ولم تفارق جعفرا خفة روحه حتى في هذه اللحظة وكانت صلاته بأسرته قد اصبحت ودية فاخذ يلح على دفع قيمة البطانيات الممزقة فاضحكهم واستطاع ان يلطف الجو ويخفف من غضبهم فنقلوه الى المستشفى.

وفي هذه الفترة كانت الثورة العربية التي قامت في الحجاز في بدايتها وكان الضباط العرب يلتحقون بها من كل حدب وصوب، فقرر جعفر الانضمام اليها فسمح له بالسفر الى مكة بطريق البحر الاحمر فلما وصلها الحق بالجيش العربي الذي كان مرابطا حول المدينة المنورة بقيادة الشريف فيصل وعين فيصل جعفر قائدا عاما لقواته دون استشارة والده الشريف حسين مما اغضبه وجعله يامر بعزله فابرق فيصل الى والده بان في ذلك اهانة لا يقبلها وانه سيتخلى من مسؤولياته وينفض يده من النهضة اذا اقيل جعفر. فاضطر الحسين الى الموافقة ببرقية استرضى بها ولده.

واستولى الجيش الشمالي على العقبة واتخذها قاعدة حربية ثم سار شمالا حتى فتح دمشق وقبل انتهاء تلك الحملة كان الجنرال اللنبي قد منح جعفر باشا وساما في مقر قيادته في بير سالم بفلسطين وسط حلقة من الرجال المنتمين الى الفرقة التي اسرته في مصر، وكان لاختيار هذه الحلقة بمثابية حرس شرف في ذلك الاحتفال وقع جميل في نفس جعفر، ولكنه مع ذلك حافظ على روح الدعابة التي اتصف بها طيلة حياته فاصر على ان يحمل في هذه المناسبة وسام الصليب الحديدي الذي ناله من اعدائهم الالمان وكان له ما أراد.

وبعد احتلال سورية عين جعفر حاكما لمنطقة عمان ثم حاكما لمنطقة حلب بعد سقوطها ولما قامت الدولة العربية في سورية وتوج في فيصل ملكا عليها عين جعفر كبيرا لمرافقيه وبقي في هذا المنصب الى أن وقعت معركة ميسلون فترك سورية مع فيصل الى فلسطين ثم برحها معه قاصدا اوربا.

وفي هذا الوقت كانت الثورة الوطنية في العراق ثورة العشرين التي قامت ضد الحكم البريطاني قد اشتد اوارها حتى حملت الانكليز على تغيير سياستهم في العراق، وتاسيس حكومة وطنية في مظهرها على الاقل فتالفت الحكومة المؤقتة برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب وطلب الى جعفر العسكري وكان قد وصل الى بورسعيد في طريقه الى اوربا مع فيصل ان يعود الى العراق للاشتراك في تلك الحكومة وزيرا للدفاع وهكذا اصبح اول وزير للدفاع في دولة العراق الحديثة، وبهذه الصفة كانت المهمة االولى التي القيت على عاتقه انشاء جيش عراقي وطني تمهيدا لتاسيس دولة عربية واحتفظ جعفر بمنصبه هذا في وزارة النقيب الثانية ايضا.

ولما عقد مؤتمر القاهرة المشهور في اذار سنة ١٩٢١ برئاسة المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطاني حضره جعفر العسكري مع السر برسي كوكس وفي هذا المؤتمر تقرر تاسيس الدولة العراقية ونصب فيصل الاول ملكا عليها.

وفي سنة ١٩٢٢ عين جعفر باشا اول ممثل للعراق في بريطانيا ولكنه استدعي الى بغداد بعد سنة واحدة وعهد اليه بتاليف الوزارة فبقي في رئاسة الوزارة حتى اب ١٩٢٣ ثم استقال منها فخلفه فيها ياسين الهاشمي وعاد هو الى لندن وزيرا مفوضا للمرة الثانية وعاد الى بغداد مرة اخرى فالف وزارته الثانية وبعدها الى لندن للمرة الثالثة فبقي فيها من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٣٤.

وانتمى جعفر خلال القامته في لندن الى أحدى كليات الحقوق فيها ودرس القانون واكمل دراسته ونال شهادته وكان ذلك بطبيعة الحال بدافع من رغبته في الاستزاده من العلم، ولم تكن له بالشهادة حاجة بعد ان وصل الى اعلى منصب واصبح رئيسا للوزراء مرتين ووزيرا للدفاع خمس مرات.

واستدعي جعفر العسكري الى بغداد وعين وزيرا للدفاع في الوزارة التي الفها ياسين الهاشمي في اذار سنة ١٩٣٥ وكانت هذه المرة الخامسة والاخيرة التي يتولى فيها هذه الوزارة التي احبها وخدمها مدة طويلة.

وفي اواخر سنة ١٩٣٦ فاجا بكر صدقي وزارة الهاشمي بانقلابه المعروف فقرر جعفر الخروج لمقابلة القطعات الزاحفة على بغداد وكان واثقا انه سيستطيع بتاثيره الشخصي ان يثنيها عما تعتزمه ويحبط محاولة بكر صدقي معتمدا على ما يكنه الضباط له من محبة واحترام ولكن بكر صدقي كان يعرف ذلك ايضا فلما يلغه خروج جعفر ارسل اليه من يقتله قبل وصوله الى مقر القوات خارج بغداد .

وهكذا انتهت حياة الرجل بصورة روائية كما بدأت وكما كانت في معظم مراحلها وكان في حادية والخمسين من عمره.

كان جعفر العسكري شخصية ظريفة وسياسيا مرحا وصاحب نكتة وتروي عنه قصص طريفة ومقالب متنوعة وكان بدينا مكتنز الجسم ذكيا كثير القراءة وقد جاء في التقرير السري الذي اعدته السفارة البريطانية عن الشخصيات العراقية لسنة ١٩٣٥ والمحفوظ بدار الوثائق البريطانية في لندن الوصف الاتي:

يتكلم العربية والتركية والكردية والارمنية والفارسية والالمانية والفرنسية والانكليزية ضخم الجسم متقلب المزاج بطبيعته نزيه حسن النية ولطيف المعشر وان كان خاملا بدرجة لا يواجه معها الحقيقة حينما تكون مزعجة ميال الى تبني موقف اقل مقاومة وانتظار ما فيه الخير ليست له قدرة على الدسائس ويخدع بسهولة ، متكلم جيد وتاكتيكي ممتاز ولكنه ليس استراتيجيا شجاع ويقظ في المعارك. ولا شك ان سيرة جعفر العسكري واعماله يجب ان يحكم عليها بالمقياس الى العهد الذي عاش فيه وعلى ضوء الظروف السياسية المحيطة بالبلاد في ذلك العهد بالاضافة الى علاقته الشخصية بنوري السعيد فقد كان متزوجا من شقيقته كما ان زوجة نوري كانت شقيقة جعفر ومن الوفاء ان يذكر الرجل في ذكرى تأسيس الجيش العراقي .

كتاب (احاديث وخواطر في التاريخ)

في مؤتمر القاهرة ١٩٢١

مع الملك فيصل الاول

مع علي جودة الأيوبي ١٩١٩

هكذا رأى الكتاب والادباء سكان الصرائف حول بغداد في العهد الملكي..

لما كانت معاناة سكان الصرائف وآلامهم كبيرة، فإنه من البديهي أن يلتفت إليها بعض الكتاب والمثقفين والمؤرخين والشعراء، فأطلقوا العنان لأقلامهم ومشاعرهم، ليتناول كل واحد منهم جانباً معيناً من تلك المعاناة، كما راح بعضهم يقترح الحلول اللازمة لمشاكلهم. وعليه فقد نشر الكاتب رزق الله أوغسطين مقالاً في جريدة "الزمان" ذكر فيه أن بلوغ نفوس بغداد ٧٣٠ ألف نسمة هي ظاهرة لا تستوجب الارتياح، لاسيما أن هذه الزيادة تأتي على حساب نفوس القرية العراقية، جراء الهجرة المتواصلة. وأعرب الكاتب المذكور عن قلقه العميق نتيجة تشجيع المهاجرين على الإنجاب المستمر، رغم سكنهم في صرائف بالية، ومقابلاً لذلك لجوء سكان بغداد إلى تحديد عملية الإنجاب، الأمر الذي يؤدي بالنتيجة إلى تغير ديمغرافي لمدينة بغداد لصالح أولئك المهاجرين. وبعد ذلك عرّج أوغسطين على معاناة أولئك المهاجرين لأن المفروض حسب اعتقاده أن يسكنوا في مساكن صحية جديدة، وبما أن الحكومة عاجزة عن توفير مثل هكذا منازل، فإن المهاجرين من سكنة الصرائف أخذوا يسبّبون ضيقاً لبغداد، وعليه اقترح كاتب المقال أن تخضع هجرة المرتزقين إلى بغداد لإحصاء وترخيص من قبل دائرة فنيه واجتماعية، لأنه يرى أن من المضر أن تتحمل بغداد هذا الضغط الهائل من السكان.

حيدر عطية

كتب سليم طه التكريتي المحامي في مجلة "المجلة" مقالاً حمل العنوان "طبقة الفلاحين في العراق" تطرق فيه إلى الحياة التعسة التي يعيشها المهاجرون إلى بغداد، وأولها الأجور الضئيلة جداً التي يتقاضونها مقارنة بما يتقاضاه عامل المدينة، ليس كون الأخير أمهر منهم وإنما، من باب الاستغلال والازدراء للمهاجرين الريفيين. وأكد الكاتب المذكور أن المهاجرين، على الرغم من حياتهم هذه، فإنهم يفضلونها على العودة إلى ديارهم، لأن النظام شبه الإقطاعي هناك، لاسيما في لواء العمارة، يطبق بأجلى مظاهره. ومضى يقول منتقداً محاولة الحكومة المصرة على إرجاعهم من دون توفير سبل وأسباب هذه العودة لهم، إذ أبقت الوضع على ما هو عليه هناك في ألوية المهاجرين.

كما عالج الكاتب نوري كاشف الغطاء موضوع توفير منازل صحية لسكان الصرائف في بغداد، بمقاله الذي نشرته مجلة "عالم الغد" في ١٥ أيار ١٩٤٥ ، ففي بداية مقاله ذكر، أن نظرة واحدة يلقيها الفرد على البيوت التي يسكنها قسم من سكان بغداد على جانبي الطريق في الصليخ، وفي الفجوات التي تتخلل القصور المشيدة في الباب الشرقي والبتاوين، تجعله يعجب كيف يمكن لحيوان بدلاً من بشر أن يعيش في مثل هذه الخلايا، عادا عملية توفير امتلاك البيوت من قبل أفراد الشعب هو من الأمور الحيوية التي يجب أن تهتم بها الحكومة بشتى الطرق، مثل استقدام الأخصائيين، وتشجيع تأسيس جمعيات البناء، والمصارف العقارية، وما شابهها من المؤسسات المختصة بذلك. وطالب الكاتب المذكور بقوة، الحكومة أن تسهل امتلاك الأراضي الشاسعة المجاورة للمدن، من قبل أفراد الشعب، لأن ذلك يعد إعماراً للبلاد واستغلالاً لمرافقها وتشغيل أبنائها.

من جانبه ألقى الأكاديمي هاشم جواد محاضرة على طلبة الصف الثاني بكلية الحقوق العراقية في سنة ١٩٤٢، حملت العنوان "أحوال العمل والعمال في العراق"، أفصح جواد فيها عن ضنك العيش الذي يلاقيه عمال الصرائف في بغداد. وفي هذه المناسبة أجرى مقارنة بين ما يتقاضاه العمال من أجور وما يصرفونه من تكاليف لمعيشتهم، خلص في نهايتها إلى الحقيقة المؤلمة، أن الطبقة العاملة في مجمعات الصرائف تعيش عيشة غاية في الانحطاط من حيث المسكن والمأكل والملبس والتعليم، مذكراً الكل أن هؤلاء الناس الذين يسكنون في "سقائف وخرائب وصرائف". لا تقدم لهم الدولة من خدماتها الاجتماعية إلا القليل.

كرر هاشم جواد هذه المواقف عندما أصدر كتابه "مقدمة في كيان العراق الاجتماعي"، واصفاً وصفاً دقيقاً بعضاً من حياة سكان الصرائف وأوضاعهم المعيشية حينما كتب : "يعيش جزء كبير من العمال في الأكواخ والصرائف، أما الأثاث المستعمل فبسيط جداً لا يتعدى بعض التخوت الخشبية أو الأسرة من السعف، وكثيراً ما تستعمل الأحطاب في الوقود والتدفئة".

لم تكن طالبة كلية الطب العراقية نزيهة الدليمي، بعيدة عن معاناة نساء الصرائف إذ كتبت في مجلة "تحرير المرأة" مقالاً، وصفت بوساطته معاناة النسوة في منطقة ما وراء السدة الشرقية في عيشهن اليومي، في ظل انعدام الخدمات العامة، كالمياه الصالحة للشرب، والصرف الصحي، وذكرت الدليمي، أن أكواخهن أرضاً خصبة للأمراض، لاسيما مرض السل الفتاك، كما أن الذباب المتوفر بكثرة في مسكنهن يعرضهن لشتى الأمراض السارية وأخطرها. وتطرقت نزيهة الدليمي إلى معاناة النسوة في الصرائف وتحملهن المشقة في جلب المياه من السواقي الضحلة.

أما فيما يخص وسائل تصريف المياه القذرة، فقد وصفتها نزيهة الدليمي، أنها رديئة جداً فالمراحيض والبالوعات عبارة عن حفر صغيرة تحت الأرض تتجمع الإفرازات والمياه القذرة فيها لتنظف بين الحين والآخر، ولكنها قبل أن تنظف يترشح الكثير منها خلال التربة إلى آبار مياه الشرب المجاورة لها. واستغربت الكاتبة المذكورة من وجود كل هذه العوامل الخطرة وغير الصحية والتي لها أثر سيئ في صحة المجتمع، في بغداد عاصمة العراق.

يعد عبد الرزاق الهلالي في مقدمة الكتاب الذين تناولوا موضوع أهل الصرائف وسكانها في كتبهم وبحوثهم، فقد صدر للهلالي كتابٌ كان عنوانه "نظرات في إصلاح الريف"، تحدث في كثير من صفحاته عن أحوال المهاجرين من لواء العمارة في مدينة بغداد، وتناول أحوالهم المعيشية المزرية، فضلاً عن مساوئ هذه الهجرة على المدينة. وذكر الهلالي أن سكن أصحاب الصرائف في بغداد يؤدي إلى مضاعفة وتعقيد مشكلة الفقر في المدينة، كما أنها تعقّد المشكلة الصحية، بسبب ازدحام السكان وسوء حالة القسم الأعظم من المهاجرين الاجتماعية، كما بين الكاتب المذكور ان هذه الفئة من الناس سببت إرباكاً أمنياً عاماً، بسبب قيام سكان الصرائف بالتنقل داخل بغداد دون أي ضابط، فضلاً عن أن تفكيرهم موجه من اللامبالاة، فسبب كثيراً من التراخي في الضبط الاجتماعي. لقد عد الهلالي ظهور مثل هكذا مشاكل شيئاً متوقعاً نتيجة تمركز حوالي ٥٠ ألف مهاجر في مناطق بغداد المختلفة.

لكن بالمقابل انتقد الكاتب عبد الرزاق الهلالي، إجراءات الحكومات المتعاقبة إزاء سكان الصرائف في بغداد، خاصة إبان مواسم الفيضان، بأنه موقف تجلت فيه أكثر المواقف سوءاً. كما أعرب الكاتب المذكور عن استيائه الشديد من إقدام المسؤولين بالتضحية بمنطقة الصرائف وكسر السداد عليها وإغراقها، وتشتت سكانها، نتيجة اكتساح المياه لصرائفهم، الأمر الذي جعلهم يهيمون في الطرقات والفجوات بين القصور والساحات الفارغة، وهم مذعورون. ومما أثار استغراب الهلالي كثيراً هو قرار السلطات الحاكمة بترحيل سكان الصرائف من المدينة حال انحسار مياه الفيضان، مستعينة بجهاز الشرطة الذي يبدأ بمطاردتهم وإجبارهم على العودة من حيث أتوا، لتتكرر المأساة هذه في كل سنة من دون أن تتخذ السلطات حلاً يريحهم من عذاب هذه الحياة.

كما تناول الكاتب عبد الرزاق الهلالي في مقاله الموسوم "مساكن العمال والفلاحين في العراق" الذي نشرته له مجلة "البعث العربي" موضوع سكن عمال بغداد في الأكواخ المحيطة بها، وما يعانون من مشاكل اجتماعية وصحية واقتصادية، مما ينغص عليهم حياتهم، ويجعلهم كارهين لها. ولم ينسَ الكاتب أن يحث المسؤولين الحكوميين على السعي الحثيث لإنشاء الدور الصحية المناسبة لهؤلاء العمال، لكي تحل محل الصرائف في بغداد. دافع الكاتب عبد الرزاق الهلالي بوضوح يستحق الشكر والثناء عليه، في كتابه "الهجرة من الريف إلى المدن في العراق"، محاولاً تفنيد من يقول أنهم أناس طارئون وطفيليون في بغداد. مذكراً بأن هؤلاء النازحين هجروا قراهم وتركوا ديارهم بكل يسر وسهولة، لأن أغلبهم، ولاسيما أبناء العشائر في لواء العمارة لم يكن لهم فيها سوى "عظام الموتى" إذ لا يملكون فيها شيئاً، فلا عجب أن جاءوا إلى بغداد بأنفسهم ومتاعهم البالي، وأضاف الهلالي "وها نحن اليوم في بغداد نجد هذه الجموع المتراصة وراء السدة الشرقية، جاءت كما رأينا هاجرة قراها سعياً وراء الرزق والكسب الحلال، وقد تغلغل هؤلاء في الحياة الاجتماعية فأصبح وجودهم ضرورياً لأنهم يقدمون للمجتمع البغدادي شتى ضروب الأعمال والخدمات التي تتطلب جهداً مادياً وبشرياً، كما انخرط الكثير منهم في صفوف الجيش والشرطة والخدمة في دوائر الدولة. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن أصحاب الصرائف لم يعودوا قوماً طارئين، إنما أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع البغدادي".

يهمنا أن ننقل وصف الباحث والكاتب مير بصري لسكان الصرائف، ففي حديثة الذي أجرته معه جريدة "الزمان" الصادرة يوم ٢٠ كانون الثاني

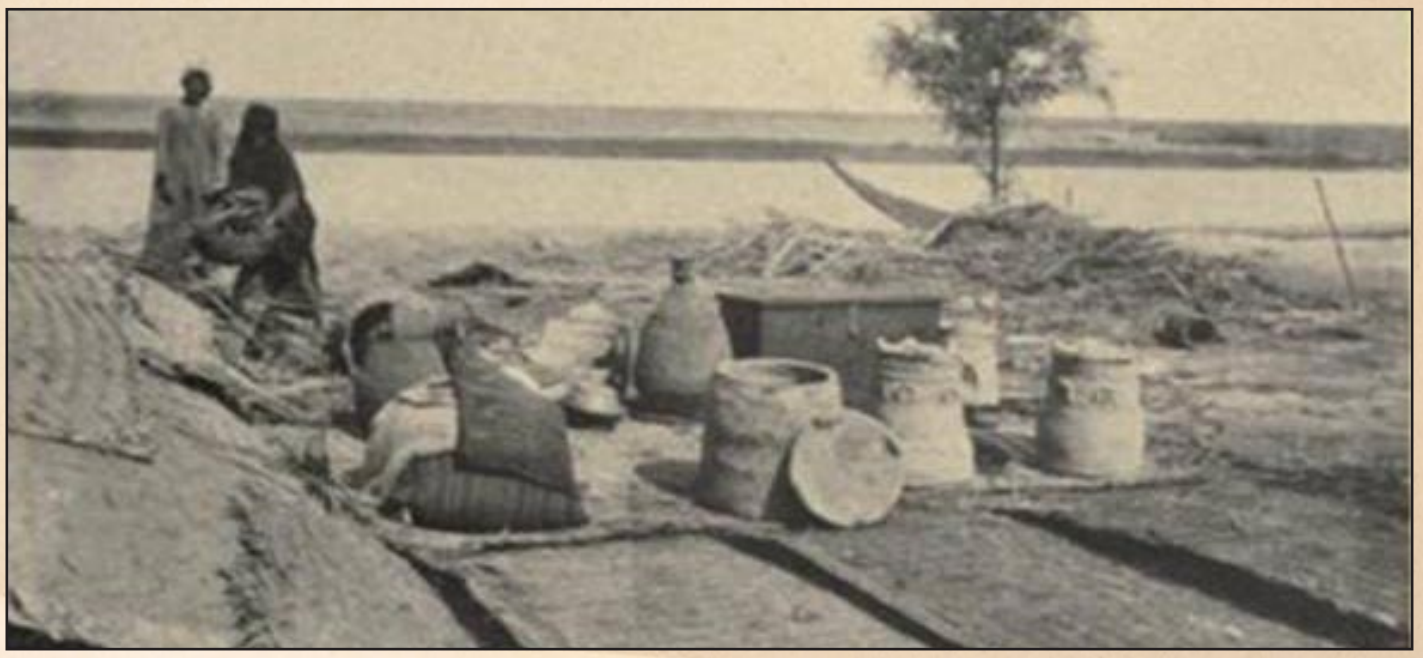

١٩٥٤، وصف أحياء الصرائف بأنها "مجتمعات متذبذبة على حواشي العاصمة بغداد"، إذ محذراً في الوقت نفسه من ازديادها، داعياً أيضاً إلى معالجة مشكلة الهجرة من الريف، إذ عدها بصري، السبب الأوحد في تكوين هكذا أحياء، من خلال المضي بالمشاريع الكثيرة التي ترفع مستوى القرى والمجتمعات الزراعية.

أثار قيام طالبات معهد الملكة عالية للخدمة الاجتماعية بزيارة منطقة الصرائف خلف السدة الشرقية ودراساتهن للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لتلك المنطقة الكاتبة مائدة حيدري محمود، فكتبت مقالاً نشرته جريدة "صوت الأهالي" في ٢٨ شباط ١٩٥٤، جاء يقطر بمشاعر التبجيل والإعجاب بما قامت به طالبات المعهد المذكور. كانت مقدمة المقال عبارة عن مجموعة أسئلة من قبيل:

"ماذا تعمل فتياتنا بين تلك الأكواخ الصماء وبين ذلك البؤس والشقاء وبين تلك المزابل البشرية الممتدة وراء سدة بغداد؟" و"هل يا ترى أيقظ العلم بناتنا فأدركن رسالتهن الروحية لإحياء ما أخمد من قوى الأمة". ولم تبارك الكاتبة المذكورة بكل جهد يبذل للنهوض بواقع منطقة "العاصمة" فقط وإنما، راحت تتغنى بجهود المرأة العراقية، ممثلة بطالبات معهد الملكة عالية بهذه اللغة: "فسيري على بركة الله، أيتها المرأة العراقية الصغيرة، سيري ولا تخافي، وأشعي النور في الظلمات، والأمل في اليأس، واجعلي قلبك في كل قلب، ومسكنك في كل مسكن، وليكن قلبك واحة لكل قريب وغريب، إن البلد تناديك بلسان ضعفائها وبؤسائها فلبي نداءها".

وحول الموضوع نفسه، كتبت روز خدوري مقالاً في الجريدة نفسها وفي عددها الصادر في ١ آذار ١٩٥٤، حمل العنوان "مشكلة سكان العاصمة"، كان عبارة عن بحث متكامل الجوانب، سلطت خدوري فيه الضوء على أهم ما يعانيه سكان منطقة "العاصمة"، فمن الناحية الصحية بينت مساوئ الصريفة كمكان للسكن، إذ إنها صغيرة الحجم وعديمة النوافذ، وهي عبارة عن "قبو مظلم"، فضلاً عن كونها مأوى كل من البشر والحيوانات، أما عن مستوى الأهلين الصحي فذكرت الكاتبة المذكورة أن الأمراض منتشرة بصورة هائلة، إذ إن أكثرية السكان الساحقة مصابون بالأمراض الجلدية والأمراض الزهرية والسل الرئوي وغيرها، وحذرت من الانتشار السريع لهذه الأمراض بين السكان الأصحاء، بسبب كثرة العدوى بينهم. وانتقدت روز خدوري إجراءات البلدية، لأن سياراتها المعدة لنقل الأوساخ لم تمر مطلقاً بهذه المنطقة، مما تسبب بوجود جبال من الأوساخ والقمامة.

كما أشارت الكاتبة روز خدوري في مقالها إلى أن دخل عائلة سكان الصرائف ضئيل جداً، مما أدى إلى ظهور مشاكل عدة، ويتجلى ذلك في ما يتناولون من غذاء، إذ يقدم أهالي الصرائف على شراء السمك العفن لرخص ثمنه، أما اللحوم فيتعذر على الأغلبية من سكان هذه المنطقة شراؤها. ولاحظت الكاتبة المذكورة انتشار ظاهرة عمالة الأطفال، الذين لا تتجاوز أعمارهم الثانية عشرة ويشتغلون في أعمال الطين والمعامل. أما بالنسبة إلى موضوع الأمية التي وصفته روز خدوري بالداء، فإنه لا يشمل الكبار فحسب وإنما، الأحداث أيضاً، ومما زاد تفاقم هذا الداء هو ندرة المدارس. وأكدت روز أن الأهالي راغبين في إرسال أبنائهم إلى المدارس، ويتمنون أن تلتفت الحكومة وتقوم بتأسيس عدد من المدارس في المنطقة وتنتشلهم من الجهل.

خلصت الكاتبة روز خدوري بعد هذا كله إلى حقيقة في غاية الأهمية وهي، أن مشكلة سكان الصرائف أصبحت من المشاكل الهامة التي يجب معالجتها، لأن إبقاء هذه المشكلة على وضعها الراهن لا يتفق وتطور المجتمع، كما أن مشكلة سكان الصرائف هي أدق من مسألة إسكانهم في بيوت من الطابوق والجص، لأنها مسألة تتعلق بالناحية الصحية بالدرجة الأولى، إذ إن الإصلاح الاجتماعي يجب أن يبدأ من الجذر أي يرفع المستوى الصحي للسكان لضمان معيشتهم ليتمكنوا من تطبيق ما يتعلمونه من إرشاد. وان كل ذلك بعض من مقومات الإصلاح المنشود.

عالج الشيخ والسياسي الكبير والكاتب المعروف محمد رضا الشبيبي أس مشكلة الصرائف في بغداد وأساسها، معالجة واقعية. وكان ذلك في مقال له نشرته جريدة "الزمان" كان عنوانه "مشكلة الأرض في العراق"، إذ أكد فيه أن من أسباب الهجرة الرئيسة هو عدم توزيع الأراضي على صغار الفلاحين بمساحات معقولة، لاسيما في لواء العمارة التي كانت أغلب أراضيه أميرية، مما أدى إلى هجرة فلاحي هذا اللواء إلى بغداد. ثم أضاف الشبيبي واصفاً حالة المهاجرين في بغداد وتسكعهم في ضواحيها بأنه "لطخة عار في تاريخنا الحديث، وان موقفنا موقف المتفرج من بؤس الفلاح المذكور وفاقته موقفاً ينطوي على أفضع ضروب التسيب والإهمال".

وحذر الشبيبي في مقال آخر، من تكاثر أحياء العمال المهاجرين البسطاء الذين يعيشون بأجور زهيدة في ضواحي بغداد، على حساب إفقار المناطق الزراعية من الأيدي العاملة، لأن استمرار الهجرة ستجعل برأيه، وهو صحيح تماماً مجموع الشعب العراقي كتلة من العمال غير الماهرين، وستقضي عاجلاً أم آجلاً على نهضة البلاد من الناحية الزراعية، وبالتالي يضطر العراق إلى استيراد قوته ومواده الغذائية من خارج البلاد وبأسعار باهظة.

لاحظ الشيخ الشبيبي المضمون نفسه، في مقال له نشر يوم ٧ تموز ١٩٥٦، أن الأحياء المتكدسة والمتراصة من الصرائف في ضواحي بغداد تشير إلى "محنة الريف العراقي"، إذ إن العائلة المهاجرة تجد في كثير من الأحيان عملاً لكل أفرادها لقاء أجر ولو كان ذلك الأجر زهيداً جداً، إلا أنه أحسن مما كانت تجنيه من أعمال الزراعة، لذلك فإن هجرة هؤلاء وتحولهم إلى عمال، أدى إلى ندرة العثور على الفلاحين في أريافهم.

ومما يجدر ذكره هنا أن الأكاديمي حسن محمد علي، قد بحث أسباب الهجرة من الريف إلى بغداد ونتائجها الاجتماعية على بغداد، ومن جملة ما توصل إليه من نتائج، هو أن سكان الصرائف في بغداد يعيشون ضنكاً وهم على درجة عالية من الإملاق، ومضى مدللاً على ذلك قائلاً: إن الأجور التي تدفع لهم هي أعلى مقدار من قيمة الإيراد الزراعي، غير أن الأثمان العالية التي يجب أن يدفعها ساكنو الصرائف لقاء المأكل والملبس وغيرها تجعلهم في فقر كبير، وهكذا يجابه النازحون إلى بغداد مصاعب كثيرة في محيطهم الجديد، لاسيما عندما تكون أجورهم واطئة جداً، وختم حسن محمد علي مقاله بدعوته إلى وجوب إجراء دراسة وتحقيق في تأثير الهجرة ونتائجها على الحياة الاجتماعية للمدن والقرى.

كما سلط الأكاديمي صلاح الدين الناهي الضوء ساطعاً على ما كان يعانيه سكان الصرائف، إذ جاء ذلك في صفحات كتابه "مقدمة في الإقطاع ونظام الأراضي في العراق"، ذكر فيه أن مدينة بغداد أحيطت بالأكواخ العائمة في المستنقعات والنزيز، وتوجد فيها طبقة جديدة من الناس تعيش في أوطأ مستوى مادي ومعنوي للحياة يتصورها الخيال.

لعالم الاجتماع العراقي المعروف علي الوردي موقفاً معيناً من سكان الصرائف يستحق الذكر، ففي سنة ١٩٥٦ أخذ الوردي طلابه في قسم الاجتماع في درس عملي لزيارة منطقة "العاصمة" لدراسة أوضاع سكانها الاجتماعية، والأسباب التي أدت بنزوحهم إلى بغداد، ودراسة أحلامهم وتطلعاتهم المستقبلية، وعلى ما يبدو أن هذه الزيارة لم ترُق لنوري السعيد رئيس الوزراء، فعاتبه مخاطباً إياه "لماذا تنشر غسيلنا أيها الوردي" فأجابه علي الوردي مستعيناً ببديهيته المعروفة "إن الناس

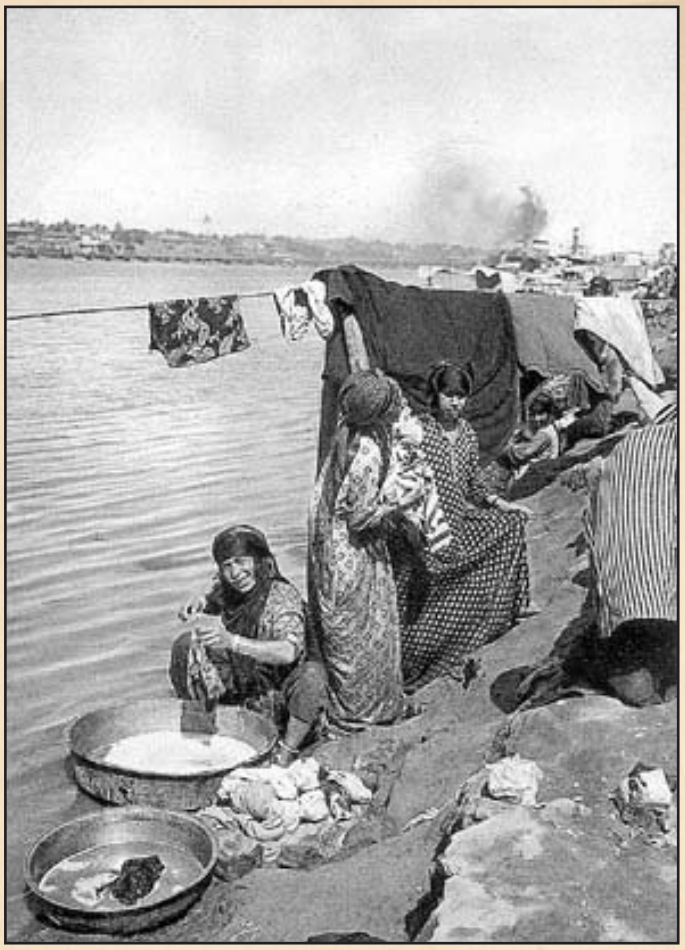

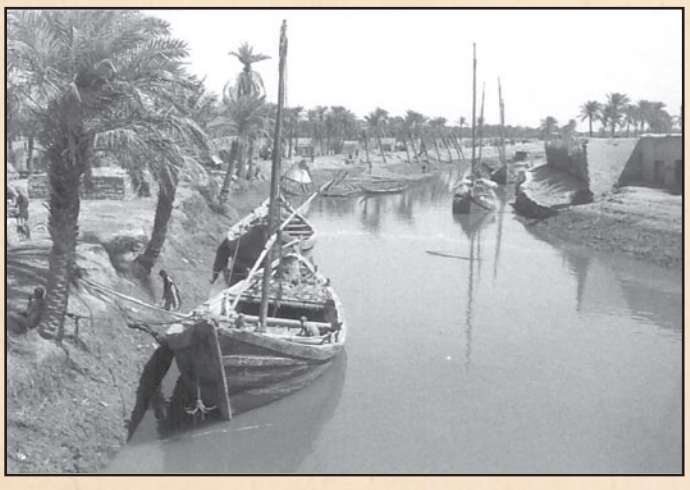

التي تسعى للنظافة، تنشر غسيلها تحت أشعة الشمس".

لم يكن غريباً أن تشغل أحوال سكان الصرائف ومشاكلهم الكثيرة حيزاً معيناً من اهتمامات الأدباء والشعراء العراقيين. إذ وجه بعضهم اهتمامه لمعالجة هذه المشكلة أو تلك من مشاكل مجتمع الصرائف. لقد كان اهتمام بعضهم كبيراً جداً، فصاروا أكثر قرباً من هذه الفئة من العراقيين، وأكثرهم تحسساً لآلامهم وآمالهم. مهما يكن من أمر، فإن القاص عبد الملك عبد اللطيف نوري كتب قصة وصف فيها حياة سكان الصرائف وسكنهم وصفاً دقيقاً، أطلق على قصته "بين المزابل" ومن جملة ما ذكره هو: "مسكنه لم يكن إلا بجوار مزبلة واسعة في الخلاء، تنقل إليها القمامة من قلب المدينة وأطرافها، ولم يكن غير كوخ متواضع بسيط جعله مأوى له ولأحلامه الجديدة".

أما شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري، فإنه أتحفنا بصورة شعرية عن حياة سكان الصرائف، لاسيما في قصيدته "عالم الغد" التي قال فيها:

"أيها المستمنّ بالتلطيف مسترقاً بكسرة من رغيف
لا تقيه أنارة من جوع
يتمنى انعكاس ضوء الشموع
وسميل من الشباب شفيق
يسترا العورتين بالترقيع
وحواليه من نتاج الصوف
من ذويه "الأوباش" أي قطيع
تجتدي من دمائنا قطرات حبست عند هذه الحشرات
هي منافي هذه الغمرات
والوجوه "المصفرة" الغبرات
والعيون "الحزينة" الحذرات
في منايا الصدور "منكسرات".

كما نظم الشاعر العراقي حسين مردان قصيدة أسماها "الفيضان" كانت مفعمة بمشاعر الحزن والأسى والشفقة أيضاً على سكان الصرائف الذين شردوا بسبب فيضان سنة ١٩٥٤، فلنترك الشاعر حسين مردان يصور ذلك:

الماء ... هذه الكلمة الناعمة
أسمع .. الماء !
لقد أصبحت شيئاً بشعاً كريهاً
والمشردون ...
الأطفال السمر، والأمهات البائسات.
الجوع والخرق والدموع
الأكواخ السود .. والرجال الصامتون
النكبة ... والصمت
ما الفرق ..؟
من أرض المستنقعات إلى الرصيف
ولكن البطالة ... التشرد،
لا شيء ... مواعيد ..
وصدقة ... صدقات ... ياللمساكين.

أما قريحة الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة فقد أفاضت بقصيدة رائعة أسمتها "المدينة التي غرقت" وكان مطلعها:

"وراء السداد التي ضمدوا جرحها بالحصير
وخلف صفوف الصرائف حيث يعيش الهجير
يسير طريق تدثر بالطين نحو المدينة
وأطلالها حيث يعيش احضرار السكينة
وكانت تجيش وتزخر ساحاتها بالحياة
وجاء الخراب ومدد رجليه في أرضها
وأبصر كيف تنوح البيوت على بعضها
ويأتي الصباح ويختبئ في مكمن
وتخفيه مستنقعات فساح
؟".

وبالقدر نفسه، راح الشاعر محمد جواد الشبيبي يُسخر جزءاً من شعره لطلب العدالة الاجتماعية ورفع الآلام التي تحيط بالفقير والعامل الذي يتخذ من الصرائف سكناً له. ومما قاله حول هذا الموضوع:

ينهي الجباة – فلا خفت جبايتهم –
ما أن أراحوا مطاياهم وأنفسهم
أبقت مآتم في الأكواخ تندبها
الله يا سالبي العريان جلدته
ماذا يكابده المظلوم من جنف
ثقل العباب وفيها الخزي والعابُ
إلا غدت تعقب الراحات أتعابُ
وفي القصور لها عزف وإطرابُ
ففي قضايا القضا سلب وإيجابُ
تفننت فيه حكام وكُتابُ

ربما لا نظلم أحدا عندما نقول إن الشعر الشعبي في العراق، وفي أحيان كثيرة، يرسم صورة شعرية أقرب ما تكون إلى الواقع وأكثر ملائمة لمشاعر الناس وأحاسيسهم الدقيقة، لأنه ليس فيه من التعقيد الذي يحتاج إلى الرجوع إلى المراجع لفهمه، إذ إنه يكتب باللهجة المتداولة بين الأوساط الشعبية. والأهم من ذلك كله أن القصيدة الشعبية تعالج الموضوع الذي هي بصدده بشكل مباشر ومبسط للمتلقي. فلنقرأ القصيدة التي نضمها الشاعر الشعبي كاظم خبط الجبوري في بداية عقد الخمسينيات من القرن المنصرم والتي أسماها "القصر"، والتي صور فيها أحاسيس ومشاعر أحد أطفال منطقة الصرائف، والتي قال فيها:

يمه دولة أهل القصر ما لاعبوني
يمه من شافوني أجيت تناديسوا واستغربوني
يمه ماسموني باسمي وكالوا هذا ابن الفقير وشتموني
وكالوا هذا ابن الصريفة وعيروني
يمه جاهو الفقير أشسوه من نجله ابعمرهم؟
يمه جاهيه الصريفة شماخذه وخايف قصرهم
يمه كالوا لا تمر منا بعد بالك تشم ريحة وردنه
وكالوا بجدمك الحافي نخاف يترب عكدنه
يمه عدهم كلشي عدهم واحنه بس الماكو عدنه
يمه لعابات عدهم مدري شنهي وانه لعاباتي طين
يمه حتى ثيابهم مستغربتني يعاتبن ثوبي الحزين
يمه جاليش احنه فقره وليش اهلهم زناكين
يمه دين الفقر متعب خل نبدله بغير دين
وليش ما عدنا قصر عالي مثلهم؟
موش أبونه اليبني هاي قصورهم كل هالسنين؟
وليش ما عدنا ورد يمه مثلهم؟
موش ابونه اليزرعلهم بساتين؟
يمه مو كتيلي مرة أبنادم اطباع تهم ما يهم لونه
يمه ثاري بس الكمر بالدنيا يحبنه
اعلينه يسهر دوم ما غمض اعيونه
يمه خاف الكمر هم ينباع والهم يشترونه.

من رسالة (سكان الصرائف في بغداد)

كنائس واديرة العراق

دير السيدة في القوش

عش اللقلق على برج الكنيسة

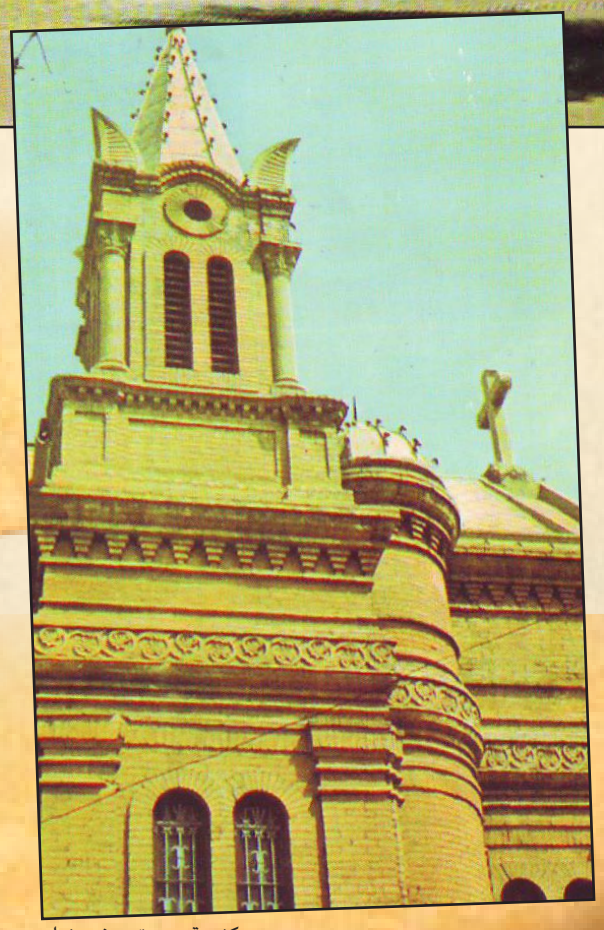

كنيسة ببير بتري في بغداد

كنيسة الارمن في بغداد

كنيسة اللاتين في بغداد

كنيسة بعشيقة عام١٩٤٥

كنيسة الارمن في عام ١٩٠١

العدوان الثلاثي على مصر 1956 والصحافة العراقية من خلال جريدة (اليقظة)

بسام شبيب محمد

دمار الحرب في مدينة السويس

بعد إن فشلت لجنة روبرت منزيس الخماسية الدولية لبحث الخلاف الدولي بعد تاميم قناة السويس في مهمتها، وحاولت بريطانيا وفرنسا إظهار عجز مصر على إدارة قناة السويس فسحبت المرشدين الأجانب في ١٤ أيلول ١٩٥٦ على أمل إرباك الملاحة في القناة، وعلى الرغم من ذلك استطاع المرشدون المصريون مساعدة ثلاث عشر سفينة على المرور من القناة، وسرعان ما اثبت المرشدون المصريون أهليتهم في إدارة مرور السفن في قناة السويس. تم عقد مؤتمر ثاني في لندن من ١٩-٢١ تشرين الأول ١٩٥٦، برئاسة وزير خارجية بريطانيا أيضاً سلوين لويد وحضرة رئيس وزراء فرنسا غي دي موليه ووزير خارجية الولايات المتحدة دالاس وكذلك ضم الدول التي حضرت مؤتمر لندن الأول باستثناء الاتحاد السوفيتي، وطرح مشروع تأليف "هيئة المنتفعين"، وهي تتألف من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والدول التي تستخدم القناة، وأنها ستحصل رسوم المرور وتدير العمليات في القناة، وإذا لم تتعاون مصر مع الهيئة تكون قد خرقت اتفاقية عام ١٨٨٨، وأنها سوف تلجا إلى مجلس الأمن لتجد المسوغ القانوني لغرض الهيئة على مصر بالقوة.

أعلن وزير خارجية الولايات المتحدة دالاس رفض بلاده الاشتراك مع الجهود التي تسعى إليها بريطانيا باستعمال القوة ضد مصر.

كان رد مصر سريعا إذ أعلنت إن "جمعية المنتفعين" المقترحة تتعارض مع كرامة مصر وحقوق سيادتها وان مصر تعدها انتهاكا خطيرا لميثاق الأمم المتحدة واتفاقية عام ١٨٨٨. وعندما لم يلن الموقف المصري مصرا على إن القناة مرفق مصري شقته مصر بأموالها وبسواعد أبنائها وتحملت في ذلك الكثير من التضحيات الاقتصادية والبشرية وباءت جميع الجهود الدبلوماسية والضغوط العسكرية بالفشل هنا، اتفقت الدول الثلاث (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) على إعلان الحرب.

أجرى البريطانيون والفرنسيون وإسرائيل مباحثات سرية في مدينة سيڤر الفرنسية في ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٦، انتهت بتوقيع (معاهدة سيڤر السرية) حيث تم فيها وضع الخطط العسكرية للهجوم على مصر لاحتلال قناة السويس، تبدأ بالهجوم الإسرائيلي كمرحلة أولى على غزة وسيناء بحجة مطاردة المقاتلين الفلسطينيين، ثم تبدأ بريطانيا وفرنسا بالتدخل كمرحلة ثانية وتطلب من الجانبين الابتعاد عن القناة مسافة كافية تسمح باستئناف الملاحة، وفي حالة الرفض تقوم الدولتان بإنزال عسكري وتحتل القناة، واعتمدت الخطة على مدى نجاح إسرائيل في الوصول إلى قناة السويس في الوقت المحدد. وبدا العدوان على مصر يوم الاثنين ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، إذ بدأت إسرائيل عدوانها بموجب اتفاقية سيڤر السرية لاحتلال قناة السويس. ولم يكن الهجوم الإسرائيلي مجرد تنفيذ للمعاهدة المبرمة بين إسرائيل وبريطانيا وفرنسا وحسب، وإنما تحقيقا لهدف ابعد من هجومهم على سيناء، وهو الاستيلاء على شبه الجزيرة كلها وترسيم حدود غربية جديدة لإسرائيل مجاورة لمنطقة قناة السويس التي يتم تدويلها في حالة نجاح الغزو وتحقيق أهدافه. كما كانت إسرائيل تهدف إلى تحقيق نصر مستقل تتناقله الأخبار في الشرق الأوسط والعالم.

نددت اليقظة بالعدوان الإسرائيلي وذكرت في مقال لها بعنوان "ماذا وراء الأكمة"، أكدت بان إسرائيل هي السبب في إشعال فتيل الحرب، واصفة الاعتداء بأنه (التحرش الدنيء)، وأكد المقال بان القوات المعتدية لن تتوغل في الأراضي العربية إذا ما وقفت البلدان العربية بوجهه، وان العدوان لن يبعد أنظار العرب عن مشكلة فلسطين التي هي الشغل الشاغل للعرب، وقالت: "لقد كان متوقعا منذ إن حدثت أزمة القناة إن توغر الدول التي خلقت إسرائيل بإشغال العرب في قلب وطنهم وهي إنما أقيمت من اجل ذلك، وها هي ذي العصابات تقوم بدورها كاملا غير منقوص"

أنذرت بريطانيا وفرنسا في ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٦ الحكومة المصرية بسحب جميع القوات المصرية المسلحة إلى مسافة عشرة أميال بعيداً عن القناة، وكذلك أنذرت إسرائيل أيضاً بسحب قواتها تبعا للاتفاقية المذكورة. رفض الرئيس المصري جمال عبد الناصر ذريعة القوات البريطانية والفرنسية لمهاجمة منطقة قناة السويس، وأضاف بأنها مؤامرة ولكنها ليست ضد مصر بمقدار ما هو ضد الأمة العربية بمجموعها "فلنقف في وجه المتآمرين صفا واحدا لا تنفذ منه الدسائس". وشهد يوم ٣١ تشرين الأول ١٩٥٦ استكمال حلقة العدوان الذي عرف (بالعدوان الثلاثي على مصر)، بعد رفض مصر طلب الإنذار من الدولتين للإجابة عليه لمدة (١٢ ساعة) تنهي صباح يوم الأربعاء ٣١ تشرين الأول ١٩٥٦ بحيث إذا لم تتسلم الدولتان الجواب في الوقت المحدد فأنهما تتدخلان لضمان حرية الملاحة بالقناة، وتنفيذ الخطة المتفق عليها.

عند بدء العدوان كتبت اليقظة أن بريطانيا وفرنسا تسفران عن عدوانهما للعرب وتتقفان إلى جانب إسرائيل، ووصفت العدوان بأنه (مؤامرة على العرب) داعية الدول العربية إلى إعلان النفير العام وخوض معركة التحرير بالقضاء على إسرائيل نهائيا لإعادة البلد السليب إلى أحضان العروبة، أبرزت اليقظة احتجاج الحكومة العراقية على بريطانيا وفرنسا لاشتراكهما بعمليات الإنزال بالأراضي المصرية، واتهمت المذكرة التي سلمها وزير الخارجية برهان الدين باش أعيان إلى كل من السفير البريطاني والفرنسي في بغداد، الحكومتين لقيامهما بعمل يعد خرقاً لميثاق الأمم المتحدة واعتداء على سيادة مصر.

قرر مجلس الوزراء العراقي برئاسة نوري السعيد تهيئة الجيش العراقي لإرساله إلى الأردن، وإعلان الأحكام العرفية في البلاد اعتباراً من يوم ٣ تشرين الثاني ١٩٥٦م. وأبرزت اليقظة أن الرئيس المصري جمال عبد الناصر أعلن عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا، وأن حكومته تدرس انسحابها من هيئة الأمم المتحدة، وزادت اليقظة (سخرية ونقداً) من موقف الحكومة العراقية الذي جامل مشاعر الشعب لكنه في حقيقة الأمر كان موقفاً شامتاً بالشقيقة مصر حسب رأيها وهو في الحقيقة موقفاً جريئاً، كما طرحت مطلباً يعبر عن رؤيتها المتكاملة للقضية وكان نصه: "نريد من الحكومة العراقية خاصة أن تعيد النظر من ميثاق بغداد فتبعد منه بريطانيا، فقد كلفنا اشتراكها فيه ثمناً غالباً من سمعتنا القومية وكاد يعزلنا عن شقيقاتنا العربية".

نشرت اليقظة تصريح محمد مهدي كبة رئيس حزب الاستقلال المنحل وعضو الهيئة التأسيسية لحزب المؤتمر الوطني بعنوان "تآمر الاستعمار والصهيونية على الأمة العربية"، جاء فيه: "قد بعث العدوان في الأمة العربية تصميما صادقا على الكفاح وتحقيق ألاماني الشخصية في الحرية والوحدة في سبيل بلوغ أهداف الأمة"، والدعوة إلى التعبئة العامة وقطع العلاقات مع دول العدوان وتهيئة الوسائل الكفيلة بالتصدي لدول العدوان.

دعت اليقظة بعد دخول قطعات الجيش العراقي الأراضي الأردنية إلى المشاركة الفعلية في ردع العدوان وتدمير قوى الشر، وأكدت على أهمية تعبئة الجماهير وشحذ هممها بالوقوف إلى جانب الشعب المصري الشقيق، وأضفت صفات (اللصوصية والغدر) على الدول التي شاركت في العدوان على مصر، ودعت العرب إلى "إن ينفروا لنجدة مصر بكل ما يملكون من إيمان ووسائل".

وأوضحت اليقظة في زاوية (كل مساء) إن العمل الحربي في الشرق الأوسط يسمى إجراءا بوليسيا، إذ يأتي بالجنود والقنابل من بريطانيا وفرنسا لمهاجمة شعب بريء، فمن الذي خول بريطانيا وفرنسا لتقوم بدور البوليس؟، ذلك العهد قد مضى الآن، إن هذا الجيل قد شاهد عملية انسحاب القوات الأوربية من الميادين التي كانت تسيطر عليها، وأنها ستنسحب من أي قسم لازالت تلتصق به.

ولكي تنبه اليقظة على حجم المؤامرة الاستعمارية وبالتالي حجم الردع وتمجيده، فقد ذكرت إنما سميت ثورة العرب في ٩ شعبان ١٩١٦ بثورة العرب الكبرى، فان ثورة العرب عام ١٩٥٦ الأكبر واكبر، وأكدت إن النصر سيكون من حليف مصر في هذه المعركة أطال الزمن أم قصر، وختمت بقولها: "نحن نعلم بان الحرب كروفر ونعلم بان قوى الشر المادية تفوق قوانا، ولكننا نعلم إلى جنب ذلك بأننا نفوقهم أيمانا وشجاعة". وتحت عنوان "مصر للجميع والله لمصر"، نددت بالعدوان وذكرت: أيها العرب أيها المسلمون إن خطر العدوان أعظم واخطر مما تظنون، فإذا لم تسارعوا إلى القضاء على هذا الخطر الكبير "كانت مصر لا قدر الله غذاءه وكنتم عشاءه ثم تعضون أصابع الندم"، وتسالت هنا: "وها قد مر أسبوع على العدوان مصر الشقيقة وهي تناضل عن حقها وكرامتها وسيادتها، فما الذي فعله العرب والمسلمون حتى ألان لنجده مصر".

كانت مصر قد أرسلت مذكرة عاجلة إلى مجلس الأمن لدعوته إلى الانعقاد العاجل لبحث العدوان الإسرائيلي عليه، وقد سادت مناقشات مجلس الأمن، الذي كان في حالة انعقاد منذ ٣ تشرين الثاني ١٩٥٦، توتر حاد بسبب تباين المواقف بين أعضائه وواجهت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل إدانة شديدة لعدوانها على مصر، أبرزها موقف الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا والهند وباكستان واليونان والمكسيك وبولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا، إضافة إلى الدول العربية الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة. واتخذت الولايات المتحدة موقفا معارضا للعدوان، إذ أوقفت إمداد بريطانيا بالنفط لحين انسحاب القوات (البريطانية والفرنسية والإسرائيلية) من الأراضي المصرية، وهددت كذلك بوقف الدعم للجنيه الإسترليني وتقديم القروض الأمريكية من صندوق النقد الدولي لحين وقف العدوان. إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لا يقبلان باعتبارهما قوتين عظيمتين إن تتخذ خطوات حاسمة كهذه في منطقة لهما فيها مصالح، من دون إن تؤخذ تلك المصالح بعين الاعتبار. ووجه الاتحاد السوفيتي في ٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ إنذاراً إلى الدول الثلاث التي هاجمت مصر والقاضي بوقف إطلاق النار وألا تتدخل لصالح مصر.

وفي يوم الأربعاء ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦ تم الإعلان عن وقف إطلاق النار وتشكلت قوة طوارئ دولية لمراقبة انسحاب الدول المعتدية الثلاث من الأراضي المصرية، إذ تم التصويت على المشروع في هيئة الأمم المتحدة بتأييد (الكتلة الآسيوية- الأفريقية) والقاضي بانسحاب القوات (البريطانية والفرنسية والإسرائيلية) فورا إلى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩، إذ حصل المشروع على أغلبية (٦٤) صوتا من مجموع (٨٠) أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة.

بعد الاعلان عن وقف إطلاق النار، أوضحت اليقظة ها هي ذي الدوائر تدور على الباغيين من الناحية السياسية والمعنوية على الأقل، ها هي ذي الدنيا تشير أليهم باجمعها قائلة: "هؤلاء هم المجرمون المعتدون وهؤلاء هم اللذين تحدوا هيئة الأمم المتحدة وعبثوا بالمواثيق الدولية، وهؤلاء هم اللصوص والقراصنة وسفاكو الدماء أعداء الحق والعدالة، حسبهم الهزيمة الشنعاء".

حذرت اليقظة من وقف القتال وبينت إن الحرب بمعناها الشامل لم تتوقف ضد مصر، فما زالت بعض هذه القوات في بعض الأراضي المصرية فالمشكلة ما زالت قائمة، وقد يكون إيقاف القتال (خدعة) فلنكن حذرين، لا من تجدد القتال بل من المؤامرات السياسية أيضاً الرامية إلى تحطيم قوة مصر (وتدويل القناة) والى فرض الصلح على العرب مع إسرائيل.

عادت وشككت اليقظة بوقف القتال وذكرت

إن مشكلة الشرق الأوسط كله ومشكلة العرب خاصة تكمن في هذا العدوان المثلث على مصر الشقية، فلا يكفي وقف القتال ولا يكفي سحب القوات المعتدية، وإنما يجب توفير الضمانات الكافية للحيلولة دون العدوان من جديد، ومنها فرض العقوبات الرادعة على المعتدي وتضمينه جميع الأضرار التي سببوها لمصر بعد عدوانهم، حتى يعلم كل من تحثه نفسه بالعدوان بان الأمر ليس (شهوة) تشتهي بها النفوس الشريرة.

والجدير بالذكر أنه قبيل وقف العدوان على مصر بقليل شارك العراق في اجتماعات حلف بغداد في طهران الذي دعا له شاه إيران في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٦، وأصدروا بيانات استنكروا فيها العدوان الثلاثي، وتعليق عضوية بريطانيا منه، على احترام سيادة مصر واستقلالها، وكان رئيس الوزراء نوري السعيد مثل العراق في الاجتماع. وأصدرت الحكومة العراقية بعد انتهاء الاجتماع في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٦ بيانا أوضحت فيه: "بأنها تعتقد بان هذه الآونة آونة حاسمة في تاريخ الأمة العربية، وان الظروف الحاضرة ملائمة لحل قضية فلسطين حلا تقتضيه"، أيدت اليقظة بيان الحكومة وبينت إن العلاج الصحيح والدائم لمشاكل الشرق الأوسط يجب إن يتمثل في إعادة فلسطين إلى أهلها العرب، وعلى الفرنسيين والإنكليز الانسحاب من البلدان العربية التي يسيطرون عليها باسم الحماية، إذ لا استقرار ولا سلام مع الاستعمار، وخاصة بعد العدوان الإثم الغادر على شقيقتها الكبرى مصر. واستمرارا للحذر الذي تبديه اليقظة في إيقاف العدوان والانسحاب قائلة: "إن الجو في مصر ما زال ملبداً بالغيوم، وانه يدعو إلى الريبة والحذر لان المستعمرين لن ينهزموا في الميدان بهذه السهولة والسرعة، وهم يخوضون معركة حياتهم أو موتهم في الوطن العربي، إن انسحابهم من باب الخدعة، حتى إذا هدا روعنا انقضوا علينا من باب أخرى.

وبخصوص الانعكاسات التي ولدها العدوان الثلاثي على مصر على الساحة العراقية، إذ هب أبناء البلاد في مختلف مناطق العراق وعلى الأخص الشباب لإظهار مشاعرهم وعواطفهم تجاه محنة الشقيقة مصر، إذ اضرب طلاب المدارس الثانوية، واندفعوا نحو الشوارع والساحات متظاهرين، غير إن الشرطة وقفت لهم بالمرصاد، ووقعت اصطدامات أيضاً بين طلبة الكليات والشرطة أدت إلى إيقاع الكثير من الجرحى بين الطلاب واعتقال عدد منهم. وقدم مؤسسو حزب المؤتمر الوطني وعدد من قادة الحركة الوطنية والأحزاب السياسية المحظورة وأساتذة الكليات مذكرات احتجاج إلى الملك فيصل الثاني، استنكروا فيها موقف الحكومة المتشفي من العدوان على مصر، واعتقال الكثير من الموطنين، طالبوا بإقالة وزارة نوري السعيد والانسحاب من حلف بغداد وإطلاق الحريات الدستورية والإفراج عن الموقوفين و ا لمعتقلين ، بسبب انتصارهم لحركة التحرر العربي، وقدمت هذه المذكرات بتاريخ ٣ و١٠ و٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٦.

كانت الحكومة العراقية خلال العدوان مع مصر كلاما، بل إن عبارات بياناتها الرسمية التي عبرت فيها عن عدم رضاها عن العدوان كانت رقيقة، ولم تكن تتناسب والموقف، فقد استخدمت عبارة (استغرقت) بدل كلمة (استهجنت)، والتدخل البريطاني والفرنسي بدل عبارة العدوان، وأسمى توفيق السويدي التأييد العربي لمصر بالضجة.

قدم عدد من النواب طلبا إلى رئيس الوزراء نوري السعيد بدعوة مجلس الأمة إلى الانعقاد لبحث العدوان على مصر، كما قدموا مذكرة شرحوا فيها موقف مصر السليم باستعمال حقها في تأميم قناة السويس، وبينوا نوايا بريطانيا وفرنسا الحاقدة على مصر، واستنكروا موقف الحكومة لأنها لم تقوم بأي عمل سياسي لمنع العدوان المسلح، بل تركت الأمور وفق خطة المؤامرة للدول الثلاث، وانتقدوا أيضاً موقف الحكومة لأنها بدل من دعوة مجلس الأمة إلى الانعقاد لبحث العدوان على مصر، عمدت إلى تأجيل جلساته.

باشرت الحكومة العراقية باتخاذ الخطوات الرادعة لإيقاف نشاط الحركة الوطنية، فأصدرت الأوامر بإلقاء القبض في ٢٩ تشرين الثاني١٩٥٦ على عدد من زعماء الحركة الوطنية وأساتذة الكليات وعدد من المحامين والمثقفين، ومنهم محمد صديق شنشل وفائق السامرائي وكامل الجادرجي وحسين جميل، بتهمة الترويج للشيوعة والعمل على إقلاق الراحة العامة وأضعاف الحكومة.

قوبل اعتقال قادة الحركة الوطنية بالاحتجاج، إذ قابل محمد مهدي كبة ومحمد حديد من مؤسسي حزب المؤتمر الوطني، الملك فيصل الثاني احتجاجا على ما قامت به الحكومة لأبناء الشعب من اعتقالات ومصادرة الحريات وكتم الأفواه.

إن رئيس الوزراء نوري السعيد وولي العهد عبد الإله فقد كانا من مشجعي بريطانيا للقضاء على الرئيس المصري جمال عبد الناصر وبشكل عام اتسم الموقف الرسمي العراقي بالتشفي واللامبالاة والكلام فقط كما ذكرنا، وعلى صعيد مجلس النواب فكانت الأكثرية مع سياسة نوري السعيد بينما أظهرت الأقلية رفضها وشجبها للعدوان. وقدم عدد من الأعيان طلبا يدعو الحكومة الحالية بالتنحي عن الحكم، بسبب موقفها الشامت تجاه العدوان على مصر، وطالبت بتغير السياسة الداخلية وذلك بإجازة المنظمات السياسية وإطلاق الحريات الصحفية.

برغم توقف القتال إلا إن المظاهرات الساخطة على الحكومة بقيت مستمرة وداعية للتضامن، ومطالبة بجلاء دول العدوان الثلاثي عن أرض مصر، واستمرت الحكومة العراقية في إجراءاتها الصادمة ضد المواطنين والمتظاهرين واعتقالها كل من يشتبه به، وحتى ٢٨ شباط ١٩٥٧ حيث الغيت الأحكام العرفية في العراق.

أيدت اليقظة بيان الجامعة العربية المنعقد في بيروت يومي ١٣ و١٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ الذي نص على تصفية آثار العدوان وانسحاب ما تبقى من قوات معتدية من مصر وان العدوان كان اعتداء على البلاد العربية باجمعها، وقالت: "يترتب على ذلك قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدول المعتدية، وهذا يبشر بالخير وهو الضمان لانتصار القومية العربية على المعتدين، ويزيد من التأييد المعنوي".

وواصلت اليقظة وباستمرار وهي تذكر أيام العدوان وما نجم عنه من آثار وردود الأفعال فكتبت مقالا بعنوان "لا تعتذر يا إيدن"، أوضحت فيه: "يقول انتوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا: نعم لا اعتذر مطلقا عن التدخل البريطاني والفرنسي واليهودي على مصر، قالها أمس بلندن في اجتماع لحزب المحافظين"، وعلقت على ذلك: "لقد برهن بهذا على أنه لا يمتلك (الشجاعة الأدبية) التي تحمله مسرورا على الاعتراف بالخطأ والاعتذار منه، برهن على أنه (جبان) لا يقدر على مواجهة الحقيقة... وهذه هزيمة أدبية تسجل عليه كما سجل عليه من قبل هزيمة سياسية". وأضافت لقد تحطمت أسلحة العدوان المتفرقة، تلك الأسلحة التي انهارت إمام قوة الأيمان الثابتة والعزائم الراسخة، فعد لها عدتك أيها العدو الغادر.

استغربت اليقظة ونبهت من عدم انسحاب القوات المعتدية من مناطق العقبة وشرم الشيخ وغزة، رغم قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة القاضي بالانسحاب الفوري إلى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩، وأضافت إن هذا السؤال يدور اليوم على شفاه الجميع وليس في الأفق ما يدل على عزم المعتدين على ذلك، وإنما تحاولان إن تماطلا بالانسحاب وتساومان عليه، إن هذا التشبث بإبقاء قواتهما (بريطانيا وفرنسا) بحجج وأعذار، لذا على العرب إن يعدوا أنفسهم لأسوء الاحتمالات وهو عدوان جديد بحجج جديدة أيضا.

وحذرت اليقظة من استمرار تحشيد القوات البريطانية والفرنسية في إسرائيل بعد إيقاف القتال، وتسالت إذ لم تكن لأغراض عدوانية؟ ولماذا تحلق طائرات العدوان الثلاثي فوق سوريا، ا سوريا أم الأردن الهدف القادم؟، وأكدت: "إن الشعوب العربية التي وقفت إلى جنب مصر الباسلة في كفاحها ضد العدوان، وسوف تقف الوقفة ذاتها مع سوريا أو أي بلد عربي شقيق يهدد المستعمرون بالغزو والاحتلال لان معركة العروبة واحدة لا تتجزأ".

بعد أن هزمت مصر قوات إسرائيل
بريطانيا وفرنسا تقرران
الهجوم على مصر
إنذار إلى مصر ينتهي الساعة السادسة صباح اليوم
الدبابات تطلبان احتلال بورسعيد والإسماعيلية والسويس
الجيش المصري يطهر سينا من قوات اسرائيل
اسقاط ٧ طائرات وتدمير ١٢ مصفحة للعدو
هذا هو بريطانيا وفرنسا تستخدمان

وفي ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٦ وصلت قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة بقيادة المساعد الفني للامين العام للأمم المتحدة الجنرال الأمريكي هويلر، وكانت مصر وافقت على مجيء القوات الدولية للإشراف على وقف إطلاق النار وانسحاب القوات المعتدية ومراقبة خطوط الهدنة تحسبا لأي مناوشات قد تقع بين مصر وإسرائيل.

وبهذا الخصوص أوضحت اليقظة بقولها: "لقد كسبنا المعركة القومية بلا ريب في أكثر ميادينها، ولا يمر يوم إلا ونضيف فيه ربحاً جديداً إلى أرباحنا وخسارة جديدة إلى دول الاستعمار، وأننا نزحف إلى النصر الكامل رغم الصعوبات". ودعت أيضاً وفق نهجها القومي العربي التحرري كنتيجة ملحة أثر العدوان وهي أن تصفي الدول العربية خلافاتها على ضوء المصلحة القومية، وعلى المخلصين والمفكرين من أبناء العروبة في كل أقطارها بذل الجهود لإنهاء الخلافات بين الأشقاء وتحديد الطريق القومي التحرري في مواجهة الأخطار المشتركة.

وقد تعرضت بريطانيا وفرنسا لضغط شديد في هيئة الأمم المتحدة لتحديد موعد لسحب قواتهما، وان بريطانيا قررت وبالتشاور مع فرنسا، أن يكون ٢٣ كانون الأول ١٩٥٦ أخر يوم لسحب القوات عن الأراضي المصرية. أما إسرائيل فأنها انسحبت من سيناء في ٢٨ كانون الأول ١٩٥٦، وأعلنت الأمم المتحدة في ٨ آذار ١٩٥٧ عن انسحابها بصفة كلية عن أرض مصر، وسلمت قوات الطوارئ الدولية في ١٦ آذار ١٩٥٧ مدينة غزة الساحلية إلى مصر، وانتقلت هذه القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ داخل إسرائيل.

أيدت اليقظة القرار المصري أثناء العدوان الثلاثي عليها وذلك بإلغاء اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا، تحت عنوان "حق مصر في إلغاء اتفاقية الجلاء"، بينت أن الذي حدث هو أن بريطانيا التي تعهدت بالدفاع عن مصر بموجب الاتفاقية اشتركت في مؤامرة غادرة مع فرنسا وإسرائيل، في هذا العدوان وهو أخلال بالصداقة وعبث بالمصلحة، بل إنهاء العهد ومبادلته بالعداء، والواضح أن قواعد المنطق قد أصيبت بضربة قاصمة لدى بعض الدول الغربية).

عادت الملاحة في قناة السويس في ٩ نيسان ١٩٥٧، وفتحت القناة للدول دون استثناء تحت إدارة وأشراف الهيأة المصرية لإدارة قناة السويس، وأكدت الحكومة المصرية في مذكرتها إلى هيئة الأمم المتحدة في ١٠ نيسان ١٩٥٧ تمسكها باتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨، وأن الملاحة في قناة السويس حرة طبقاً لهذه الاتفاقية.

وأخيراً أعربت اليقظة عن تأييدها المطلق لصمود مصر بقولها: "لقد صمدت مصر صمود الجبال الرواسي لمؤامرات الاستعمار في الداخل والخارج، صمدت مصر للرجعية والإقطاع والفساد السياسي في الداخل، وصمدت للاستعمار في الخارج... كان نضالاً مريراً بين الثورة وأعدائها في كل الميادين، وخرجت مصر ظافرة على رأسها أكليل الغار... وما كانت لتتعرض لكل هذه الرجات والمؤامرات لو أنها لم تحمل لواء (القومية العربية)، ولو أنها لم تدع إلى حرية الوطن العربية ووحدته".

واستمرت اليقظة وهي تؤيد مصر ورئيسها جمال عبد الناصر فكررت مديحها وتأييدها في ذكرى عيد الثورة المصرية الخامس وباركت لها احتفالاتها وأشادت بتجربتها الديمقراطية عند افتتاح مجلس الأمة المصري المنتخب في ٢٢ تموز ١٩٥٧، ودعت أبناء الأمة العربية إلى أعادة قراءة خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في جلسة افتتاح المجلس لما يحمله من معاني وعبر قومية وتمسك بالكفاح من اجل استقلال العرب ووحدتهم.

اطلالة على هوايات سيدات العائلة المالكة في العراق وعلاقاتهن الاجتماعية

نهلة نعيم عبد العالي

الاسرة المالكة في الاربعينات

أعتادت أغلب الأسر المالكة في الحجاز على تعليم بناتها داخل المنازل لعدم وجود مدارس لتعليم الفتيات ، وحتى في حالة وجودها فأنها لم تكن بالمستوى المطلوب ، وعلى هذا الأساس فأن الكثير من هذه الأسر كانت تعتمد في تعليم بناتها على المربيات لذا حرصت هذه الأسر على جلب مربيات يمتلكن قدرات تعليمية تؤهلهن للتدريس بنجاح .

أما بشأن الواقع الأجتماعي في الحجاز وعادات وتقاليد الأشراف فقد أقتصر أهتمامهم على تعليم الرجال فحسب ، لذا لم تتلق نساء العائلة المالكة تعليمهن الكافي إذ أن ثقافتهن لاتتعدى ما تلقينه من دراسة في منازلهن أهلتهن للقراءة والكتابة ليس إلا، فقد كانت الملكة حزيمه أمرأة غير متعلمة نشأت في جو ديني وتمتلك معرفة قليلة بالعالم وأساليبه ، لذا لم تكن قادرة على مشاركة زوجها مسؤوليات الحكم ، ولم يشترط الملك فيصل أن تكون زوجته متعلمة أذ أكد ذلك في لقاء أجرته معه جريدة المصور عام ١٩٣٣ قائلاً " أنني لا أريدها متعلمة ولكنني أريدها أن تعرف كيف تربي ولدها وكيف تنظم بيتها وكيف تجعل زوجها سعيداً " .

بحكم التطورات السياسية التي حدثت في الحجاز و إنشغال الشريف حسين بالثورة العربية، فأن ذلك حال دون توفير معلمات خصوصيات لتعليم بنات الأسر الحاكمة ، وعند مجيء العائلة المالكة الى العراق شهد توسعاً في مجال التعليم النسوي بفضل تأثيرات النهضة الحديثة ، فضلاً عن أهتمام الملك فيصل الأول، الذي يعد نصير المرأة وأنعكس أهتمامه على عائلته ، فقد جلب لكريمتيه الأميرة عزه والأميرة راجحه المربية (مس فيرلي Miss.Fairly) لتدريسهن اللغة الإنكليزية وتعليمهن التنس وآداب السلوك الأوربية ، وبالنظر لأدراك الملك فيصل أن التنشئة الثقافية لها أثر في تحديد مكانة الأميرة الأجتماعية ، فقد فتح صفاً لكريمتيه وجلب لهن معلمة من المدرسة المركزية وهي الست أمت السعيد ، بأجرة شهرية قدرها ٢٠٠ روبية ، ولم يقتصر تعليمهن على القراءة و الكتابة بل تعدى ذلك الى تعليمهن بعض الفنون كالرسم و التطريز والموسيقى ، كما شجعهن على ممارسة بعض الألعاب الرياضية ضمن نطاق القصر مثل لعبة التنس ولعبة كرة السلة ، وحاولت الست أمت السعيد خلق نوع من التآلف بين العائلة المالكة وبين الفتيات من عامة الشعب للحيلولة دون شعورهن بالبعد عن العائلة المالكة وذلك عن طريق جلبها مجموعة من الطالبات المتفوقات والمجتهدات الى قصر الملك فيصل الأول للأختلاط و التعايش مع الأميرات .

أما بنات الملك علي فقد أدخلن في البداية مدرسة الأطفال في الباب الشرقي ولكنهن أنقطعن عنها بعد مدة ، وقررت والدتهن الملكة نفيسه أرسالهن الى المدارس الأمريكية في بغداد لتعلم اللغة الأنكليزية . ولما كان من شروط هذه المدارس قراءة الأنجيل قررت والدتهن لهذا السبب عدم أرسالهن الى هذه المدارس ، وأقتداءً بتجربة الملك فيصل قرر شقيقه الملك علي فتح صف لكريماته وكانت الملكة عاليه في مقدمة اللواتي أقبلن على الدراسة ، وقد سبق للملكة عاليه أن تعلمت على يد الشيخ ياسين بسيوني القراءة وحفظ القرآن كما تكلفت سيدة تركية بتعليمها اللغة التركية قراءة وكتابة وعندما كانت في الشام أدخلها عمها الملك فيصل الأول مدارس البنات في دمشق وفي العراق تولت مهمة تدريسها الست أمت السعيد اللغة العربية .

لم يقتصر تعليم الأميرات داخل المنازل بل أدخل الملك علي كريماته الأميرة بديعه والأميرة جليله في المدرسة المركزية للبنات للأنضمام الى الفتيات العراقيات وقد كُن من المواظبات على الحضور الى المدرسة ، ولم تتمكن الأميرات من الحصول على التعليم الكافي حيث لم يتعد تعليمهن ما يمكن الحصول عليه في المدارس من القراءة والكتابة .

أما فيما يتعلق بالهوايات التي كانت تمارسها سيدات العائلة المالكة فهي لا تختلف عن العادات والهوايات التي تمارسها سائر النساء العراقيات ، فمن الهوايات المفضلة لديهن مشاهدة السينما ، وقد توقفت عن هذه الهواية الملكة عاليه بعد وفاة الملك غازي. والى جانب ذلك فقد كُن يفضلن الأستماع الى الأغاني العربية بينما كانت الملكة عاليه تفضل الأستماع الى الأغاني الأفرنجية ، ولشدة حبها للموسيقى فقد أشترت لأبنها الملك فيصل الثاني بيانو وعلمته عزف النشيد الوطني العراقي . ولم تقتصر هواياتهن على الأستماع للموسيقى ومشاهدة السينما ، فقد كان لديهن حب المطالعة ، فقد كانت للملكة عاليه مكتبة خاصة في قصر الزهور تحتوي على الكثير من المجلات الأنكليزية ومن المجلات المفضلة لديها مجلة (Queen) وكان لها إشتراك فيها لمتابعة أحداث الشرق الأوسط عامة والعراق خاصة وبسبب أهتمامها بهذه الأمورفأنها أكتسبت ثقافة أهلتها لأبداء ملاحظاتها في الكثير من المسائل فقد كانت تنبه بأستمرار الأستاذ المكلف بالأشراف على أبنها فيصل بأن عليه أن لا يكتفي بالأنتقاد وأظهار الخطأ بل عليه أن يثير أهتمامه الى مواطن القوة كمبدأ في التعليم لأن ذلك يقلل من همة التلميذ .

وكانت سيدات العائلة المالكة مثل نساء المجتمع العراقي يمارسن بعض الأمور المنزلية ، فقد تولين مهمة الطبخ في بعض الأحيان على الرغم من وجود الكثير من الطباخين في القصور الملكية . فقد عمل في المطبخ الملكي من الجنسيات كافة كالتركي و الهندي والمصري والأفرنجي ، الإ إن السيدات في بعض الأحيان كن يفضلن صنع بعض الأكلات بأيديهن ، فكانت الملكة نفيسه تفضل صنع المربى بنفسها أما الأميرة جليله فكانت تحب الطبخ بنفسها ، وكانت الملكة عاليه عند سفرها الى قصر ستانويل في لندن تفضل طبخ الأكلات العراقية بنفسها تساعدها في ذلك الأميرة عبديه . وعندما صدر كتاب الطبخ عام ١٩٤٩ كتبت الملكة عاليه مقدمة هذا الكتاب وكان نصها " لقد أصبح فن الطبخ والطهي من الفنون الجليلة في هذا العصر الذي أمتاز عن سابق العصور بالدقة والإتقان والبراعة وإنه لمن الإقلال لقيم الأمور أن يعد الإنسان التأليف في هذا الفن الدقيق الذي هو أقرب الفنون الى الحياة البشرية سهلاً ميسوراً وأنه لمن الوهم وقلة المعرفة أن يحسب التأليف في فن الطبخ من الأمور غير الضرورية ، والحقيقة أن البشرية لم ترث إلا قليلاً من المؤلفات في أعداد ألوان الطعام وطبخها بطرائق فنية تجمع بين النفاسة واللذة والتنوع والإبداع ، ولعل سبب ذلك صعوبة تسجيل هذه الظروف تسجيلاً كلياً وضبط النسب بين مواد الألوان وضمان النجاح في طبخها طبخاً لذيذاً شهياً ".

ومن الهوايات الأخرى المفضلة للملكة عاليه البستنة ، فقد أدخلت لأول مرة وردة أنيثنا الى العراق وأطلقت عليها أسم الأميرة لنضارتها وكبريائها ، وطلبت من أمانة العاصمة أن تعممها بين هواة الورود . كما أنها أدخلت وردة(الملك The King) وسمتها سلطان الورد وتقول عنها بأنها الوردة الوحيدة ذات العطر القوي ويزداد أريجها في الظل وفي الليل أيضاً ، وفي لندن أختارت شجرتين وقد أخذت تقضي ساعات من وقتها في العناية بهن ، وأهتمت في العراق بشجرة الصنوبر .

الملكة عالية

زواج الأميرة بديعة في قصر الرحاب سنة ١٩٥٠

العلاقات الأجتماعية لسيدات العائلة المالكة

بما أن سيدات العائلة المالكة قد عشن في الحجاز في بداية حياتهن ، لذا كان من الصعوبة عليهن عند مجيئهن الى العراق التكيف مع عاداته وتقاليده الموروثة (١) لاسيما وأن الملك فيصل كان محافظاً ، ألا أن سيدات العائلة المالكة أستطعن تكوين العديد من العلاقات بعد أنتقالهن من الحياة المقيدة في الحجاز الى حياة أكثر أنفتاحاً في بغداد ، ومن أجل التأقلم مع طبيعة المجتمع العراقي فلابد من طلب الأستشارة لمعرفة ذلك ، لذا فقد أستعانت الملكة حزيمه ب) مس بل Miss.Bill) في حفلات الأستقبال التي تقيمها وتوليها شؤون تنظيمها ، فضلاً عن أختيار ملابس الملكة وكريماتها كما كانت تصطحب الملكة حزيمه والأميرات للخروج في السفرات والنزهات العامة .

أما علاقات الأميرات مع نساء المجتمع البغدادي فقد كانت لديهن صداقات كثيرة مع العوائل البغدادية ومنهم بنات ياسين الهاشمي، وكذلك كانت لديهم علاقات مع العوائل التي سكنت بغداد منذ ايام الطفولة ومن هذه العوائل عائلة صفوت العوا وعائلة ساطع الحصري وعائلة علي جودت الأيوبي، وقد خصص يوم من كل أسبوع لزيارة الأميرات .

ولما كانت الأعياد في بغداد موضع أحترام وإجلال يؤدي فيه الأهالي ما تفرضه عليهم الشعائر الدينية والمناسبات العامة ، ويتخذونها وسيلة لإظهار البهجة ، فقد شاركت سيدات العائلة المالكة المجتمع العراقي هذه المناسبات ، فكانت الملكة حزيمه وكريماتها، والملكة عاليه وشقيقاتها يذهبن في هذه الأيام لزيارة العتبات المقدسة. وكانت النساء تخرج الى الشوارع لأستقبالهن ، ومن العوائل التي أعتادت الملكة

حزيمه زيارتها في النجف الأشرف بيت آل شمسه ، وكانت التشريفات الملكية تفتح سجلاً تحدد فيه ساعات تقديم التهاني للملكة حزيمة، فكان موعد إستقبالها لعقيلات الوزراء والسفراء الأجانب من الساعة التاسعة صباحاً الى الساعة الثانية عشرة ومن الساعة الثانية عشرة الى الساعة الرابعة لأستقبال نساء المجتمع البغدادي .

وقد تولت مهنة مديرة التشريفات الخاصة بالملكة ، نازك الأيوبي زوجة مرافق الملك فيصل الأول علي جودت الأيوبي وكان ذلك من أختيار (مس بلMiss.Bill) فبقيت حتى عام ١٩٢٧ حيث عينت السيدة رفيقه زوجة ساطع الحصري مديرة للتشريفات الملكية التي كانت تقوم بالأشراف على أعداد برنامج أستقبال الملكة للمواطنات وتنظيم الحفلات التي تقيمها الملكة في بعض المناسبات ، فضلاً عن أهتمامها بتأثيث البلاط بالقطع التراثية ، وقد كان لجهودها وقع حسن لدى الملك فيصل الأول ، فعندما قدمت أستقالتها في شباط عام ١٩٢٨ شكرها الملك على الخدمات التي قدمتها في عملها مع الملكة وإهتمامها بجمالية البلاط .

و رفيقه ساطع الحصري ولدت في كريت عام ١٨٩٣ إذ كان والدها حاكماً لكريت وكانت البنت الوحيدة بين خمسة أولاد ، دخلت المدرسة الإنكليزية ، تجيد اللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية ، عملت معلمة روضه في أسطنبول ، يقول عنها نوري السعيد بأنها أذكى أمرأة شاهدها تزوجت من ساطع الحصري عام ١٩١٦ ورافقته عند مجيئه الى العراق .

برزت صيغة جديدة في التعامل بين سيدات العائلة المالكة والشعب كان من شأنها تعزيز العلاقة بين الجانبين ، فقد عمدت الملكة على تخصيص يوم من كل أسبوع لأستقبال النساء في القصر لعرض مشاكلهن. وكان الكثير من النساء يأتين إليها من مختلف الطبقات للتحدث معها في مشاكلهن وتحقيق مطالبهن ، وشهدت العلاقات الأجتماعية بين السيدات والمواطنين تقليداً جديداً هو الرسائل والبرقيات ، وكان عدد الرسائل في هذا المجال كبيراً جداً مما يدل على سهولة الأتصال بين الشعب والسيدات ، وهذا ما جعل بعض النساء يعرضن مشكلاتهن العائلية في هذه الرسائل . وحملت بعض الرسائل والبرقيات مضامين جديدة في شكواها وطلباتها فضلاً عن الطلبات العادية . فقد أرسلت أحدى النساءالى الملكة عاليه رسالة طلبت فيها بعض المال لعلاج أبنها ، فقامت الملكة عاليه بأرساله الى بيروت للعلاج . كما أرسلت لها أحدى المدرسات رسالة كتبت فيها حاجتها للمال ، فلبت الملكة عاليه طلبها وطلبت منها الأتصال كلما أحتاجت الى ذلك ، وفي بعض الأحيان تقوم بأرسال برقيات للتوسط لدى شقيقها عبدالإله فيما عدا الأمور التي تتعارض مع القانون.

وكان لإنفتاح نساء العائلة المالكة على شقيقاتهن من الدول العربية أثره في حصول نوع من التقارب والتعارف بينهن ، وقد نتج عن تلك العلاقات أقتران الأمير عبدالإله بنساء عربيات من خارج الأسرة المالكة ، ففي أحدى زيارات الأميرعبدالإله الى الأسكندريه تعرف الى عائلة فتاة تدعى ملك فيضي كريمة صلاح الدين فيضي ، وهي من كرائم العائلات المصرية ، حفيدة أمين يحيى باشا شقيق صاحب الدولة عبدالفتاح يحيى باشا رئيس وزراء مصر السابق .،وبعد عودته الى بغداد أخبر عائلته بهذا الأمر لاسيما شقيقته الملكة عالية التي أستقبلت العروس ووالدتها في مدينة الفلوجة ، ثم تمت مراسيم الزواج في قصر الزهور في بغداد عام ١٩٣٦ .

وعن طريق هذه العلاقات أيضاً تزوج الأمير عبدالإله من فائزة الطرابلسي ، بعد إنفصاله عن زوجته الأولى التي لم تنجب منه (تزوجت ملك فيضي بعد طلاقها من ضابط في الجيش المصري أنجبت منه ثلاثة أطفال) ، وكان للمطربة أم كلثوم أثر كبير في معرفته بفائزة الطرابلسي كونها كانت تربطها علاقة صداقة حميمة مع الأميرة عبديه،وتم الزواج عام ١٩٤٨ (وهي كريمة محمد كمال الطرابلسي بك مدير البحيره وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها ، عرفت بالأدب ، تجيد اللغة الفرنسية والإنكليزية ومثقفة ثقافة عالية).

أما علاقات سيدات العائلة المالكة داخلياً فقد أثمرت عن زواج الأمير عبدالإله من الآنسة هيام كريمة الشيخ محمد الحبيب أمير ربيعة بعد إنفصاله عن فائزة الطرابلسي في السادس والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٥٠بعد زواج دام عامين. وقد كان للأميرة صالحه عمة الأمير عبدالإله أثر في زواجه منها كونها تربطها علاقة صداقة مع أسرة الشيخ محمد الحبيب . وقد عقد قرانهما في حزيران عام ١٩٥٦ وأقامت هيام في قصر الرحاب مع الأسرة المالكة وأنسجمت مع نسائه وعاشت منزوية عن الناس طوال مدة وجودها فيه ، وقد ظلت على قيد الحياةبعد أصابتها بجروح صبيحة يوم الرابع من تموز عام ١٩٥٨.

لم يكن لسيدات العائلة المالكة أختلاط بالمجالس العامة أو مجالس الرجال ، لأنهن كُن محجبات وعند خروجهن الى خارج القصر يرتدين العباءة العراقية مع البوشي وعندما تقام الحفلات في القصر يرتدين العباءات ويجلسن في شرفة القصر يتطلعن من بعيد .

وعندما دعت بريطانيا دول العالم الى حضور إحتفال إستعراض النصر عام ١٩٤٦ ، ولما كان العراق من الدول المشاركة فيه ، فقد أصطحب الأمير عبدالإله والدته وشقيقاته وهي المرة الأولى التي يخرجن فيها وقد أرتدين القبعات الأوربية .وبما أن المجتمع الأسلامي ينتقد ظهور النساء المسلمات في المناسبات العامة وحفاظاً على التقاليد فلم تخرج الملكة عاليه مع ملكة بريطانيا في أثناء المسير، بل أكتفت بمشاركتها حفل العشاء الذي أقامه الملك جورج السادس .

كانت العلاقة بين سيدات العائلة المالكة والمجتمع العراقي إنعكاساً للواقع الذي يعيشه المجتمع آنذاك . فكانت الملكة عاليه تراعي في هذه العلاقة عدم التدخل في الأمور التي تمس التقاليد والأعراف السائدة لصعوبة الخوض في مثل هذه القضايا. ففي عام ١٩٤٤ ، طلبت ثلاث سيدات من رائدات النهضة النسوية من الملكة عاليه إعلان السفور فأجابتهن الملكة عاليه "وهل بقي شيء من الحجاب حتى ترغبن في السفور" ، فأجابتها أحداهن بأن الكثير من السيدات يرغبن في السفور ولكنهن ينتظرن سفور الملكة ، فأجابتها الملكة عاليه بأنها تتعاطف مع الحركة النسوية وتتمنى أن تنال حقوقها ولكنها أرملة وأم ملك لم يبلغ سن الرشد في بلد أكثر سكانه من المحافظين عليه فأنها آخر من يسفر من النساء . وطلبت منهن بأن لا يتقيدن بها وأن يتبعن ما يتفق مع روح العصر .

أما علاقاتهن الخارجية فقد كانت لا تتعدى تبادل التهاني والبرقيات في الأعياد والمناسبات ، وكانت الزيارات بين الأسر المالكة، لاسيما الدول الأجنبية قليلة جداً فعند زيارة عقيلة ولي عهد السويد(ليؤبولد Leeabuld.) الأميرة (لويزا Louisa) وكريمتها (أنغريد Angered.) عام ١٩٣٥ ، أقتصر لقاء الملكة حزيمة لهن في قصر الحرم .

عن كتاب (سيدات العائلة المالكة ودورهن الاجتماعي والسياسي)

من اليمين: الأميرة عبدية، الملكة نفيسة، الملكة عالية

كيف انطلقت الاذاعة الكوردية في العراق سنة 1939؟

سينهات محمد عزالدين الداوودي

قبل الحديث عن الاذاعة الكردية في العراق لابد لنا من الوقوف على بدايات دخول جهاز الراديو الى منطقة كردستان .

فقبل وصول هذا الجهاز الى منطقة كردستان ،عرف سكانها جهاز الكرامفون الذي ظهر فيها عام ١٩٢٦ واستقر في اماكن عديدة مثل المنازل والمقاهي وغيرها من الاماكن .

وظهرت ايضا الضوابط التي تحدد تشغيل هذا الجهاز في الاماكن العامة ، فقد اعلنت رئاسة بلدية منطقة كردستان عام ١٩٢٩ م اوقات محددة لتشغيل جهاز الكرافون تبدأ من الساعة الواحدة مساءا حتى الساعة الرابعة مساءا مع مراعاة الشعائر الدينية حيث يجب ايقاف هذا الجهاز لمدة نصف ساعة عند وقت الاذان ، ومن يخالف هذا الاعلان او يخرج عن موعده يحاسب حسب المادة (١٢٦) من قانون العقوبات البغدادية.

دخلت اجهزة الراديو الى منطقة كردستان في بداية الثلاثينات ،وكان القلة من الاشخاص من يستطيع شراءها بسبب ارتفاع اسعارها.

ففي عام ١٩٣٢ ولاول مرة وصل جهاز الراديو الى مدينة السليمانية ، حيث وضع اول جهاز راديو في مقهى كان يطلق عليه انذاك مقهى (حمه ره ق) –كانت محطة الاذاعة تعمل مساءا فقط وتبث برامجها باللغة العربية فقط – واخذ الرجال يتوافدون الى ذلك المقهى بكثرة بعد اذان العشاء ليستمعوا الى ذلك الجهاز العجيب الذي يروه لأول مرة والذي كان يتكلم بدون وجود شخص.

وفي العام نفسه نشرت صحيفة ريان (الحياة) الكردية خبرا تعلن فيه عن وضع جهاز راديو في مقهى بلدية السليمانية للاستماع الى خطبة الملك فيصل، حيث هيأ المتصرف الاجواء الادارية مع رئيس البلدية الجديد ، وزينت المنطقة ونصبت اجهزة الراديو في مقر البلدية لكي يستمع الناس لخطاب الملك و لايحرم احد من الاستماع اليه .

وقبل عام ١٩٣٩ لم يعرف الاكراد اذاعة عراقية ناطقة باللغة الكردية ، حيث لم تكن في تلك الفترة سوى اذاعة بغداد الناطقة باللغة العربية، ففي يوم الاحد المصادف ١٩٣٩/١١/١٩ .تاسست الاذاعة الكردية كقسم تابع لاذاعة بغداد.

وتعد الاذاعة الكردية ثالث اذاعة تاسست في العراق بعد اذاعتي بغداد وقصر الزهور الملكية لكنها تعد ثاني اذاعة تزامنت مع نشوء اذاعة العراق ووا صلت بثها بشكل مستمر .

قررت الحكومة انشاء محطة اذاعية صغيرة في جانب الكرخ على طريق الصالحية بشكل مؤقت تكفي للبث داخل العراق وربما يصل صوتها الى البلدان الاخرى ريثما يتم بناء محطة اذاعية كبيرة حديثة ومتكاملة ، فأحالت انشاء البناية الصغيرة الى متعهد اشترطت عليه إكمال البناء في مدة لاتزيد عن ٤٥ يوم.

في الوقت الذي بدات الاستعدادات لمشروع محطة الإذاعة الكبرى فاستعان العراق بالمهندس الإنكليزي الأول في ادارة البريد والبرق (المستر بيلي) ، ووضع ستوديو خاص يستعمل للضرورات الخاصة فضلا عن تجهيز الاذاعة باجهزة نقل خارجي كاملة تحتوي على مايكروفون متحرك ومحولة وغيرها ،كما خصصت قاعة الاذاعة والاصلية التي تضم المرسلة الخاصة بمحولات البرق والهاتف ،وفعلا أنجز بناء دار الاذاعة العراقية ،استوردت مرسلة من انكلترا استخدمت للبث التجريبي في الاذاعة .

اما اذا اردنا التعرف على الاذاعة من الداخل فاننا سنجدها متكونة مما يأتي :-

(الاذاعة العراقية مشيدة على مساحة كبيرة من الارض تحيط بها حديقة جميلة وبعد ان تخترق الممشى الذي تقع على جانبيه الحديقة الغناء ،وتصعد بضعة سلالم فتدخل الردهة الواسعة الفخمة ،واول غرفة تقع على يمين الزائر بعد صعوده السلالم هي غرفة المدير ، وامام غرفة المدير تقع غرفة الانتظار وهي غرفة فسيحة مؤثثة باثاث فاخر وبعد ان يجتاز الزائر الردهة الاولى يصادفه ستوديو رقم (١) وامامه غرفة المراقبة يقع الاستوديو رقم(٢)). ومن ثم أستخدام استوديو ثالث خصص للاذاعة الكردية ،وطرأت بعض الاصلاحات على الاذاعة توخت رفع مستواها ابرزها استحداث موجه قصيرة للاذاعة طولها (٤٨،٥) م ، فاصبح بامكان المستمعين التقاط برامج الاذاعة على هذه الموجة ،فضلاً عن الموجة المتوسطة ٣٩١ م واصبح صوت الاذاعة اكثر وضوحا وصفاءً ، كما امتدت الرقعة التي يغطيها البث قليلا.

وفي عام ١٩٣٩ قرر مجلس الوزراء الحاق الاذاعة اللاسلكية بمديرية الدعاية والنشر في وزارة الداخلية ، فاصبحت مديرية الدعاية والنشر والاذاعة العامة ، ويتولى مهام ادارتها مدير عام مرتبط بوزير الداخلية، اما واجباته فهي تنظيم امور الاذاعة وتحسينها بغية تحقيق الغاية المتوخاة منها على افضل صورة.

وفي العام نفسه اسند الى كامل امين مهمتان اثنتان اولاهما ادارة قسم الاذاعة الكردية بالتعاون مع مأمورين اثنين كانا موظفين في وزارة الداخلية ، وثانيهما العمل كمذيع للاخبار الداخلية والخارجية في الاذاعة نفسها .

اما منهاج الاذاعة الكردية فقد كان يعد ضمن منهاج اذاعة بغداد والتي كانت لا تتجاوز مدة بثها انذاك ١٥ دقيقة ، حيث بدأت ببث برامجها في الساعة الثامنة مساءً بعد انتهاء نشرات الاخبار باللغة العربية وتضمنت برامجها على اذاعة الاخبار وبعض الاغنيات المسجلة علي الاسطوانات لعدد من المطربين الاكراد فضلاً عن بعض الاغنيات التي كان يقدمها مطرب الاذاعة علي مردان الذي يعد من اقدم المطربين الذين عاصروا فترة برامج الاذاعة الكردية ، واستمر منهاج الاذاعة هذا لمدة عام.

اما بالنسبة للموجات الاذاعية الذي تبث عليها الاذاعة الكردية برامجها فهي الموجات نفسها التي ترسل عليها اذاعة بغداد مواد برامجها وكانت جميع المواد تذاع على الهواء مباشرة لعدم وجود اجهزة تسجيل واستوديوهات كافية انذاك.

في بداية سنة ١٩٤١ نُقلَ عبد القادر قزاز من مدينة الكوت الى وزارة الداخلية وبعدها عُين كمترجم في الاذاعة الكردية حيث قام بالتعاون مع كل من رشيد نجيب وانور صائب بترجمة الاخبار الخارجية من اللغة الانكليزية الى اللغة الكردية ،ومن ثم صدر أمر بتعيين عبد القادر قزاز مذيعا للاخبار ،وتحمل مع كامل امين مسؤولية ادارة الاذاعة وكانا يتولان اذاعة الاخبار الداخلية والخارجية فضلاً عن اذاعة بعض الاغاني المسجلة على الاسطوانات لعدد من المطربين والمطربات الاكراد .

كما قام كامل امين وعبد القادر قزاز بتشجيع الخبراء والمثقفين والمطربين والمطربات الاكراد بالحديث حول المسائل التي تفيد الاذاعة وتطورها .

بعد انتهاء حركة مايس سنة ١٩٤١ ، عادت الاذاعة الى مكانها الاول في الصالحية ، وعاد بثها الى سابق عهده.

وفي ١٩٤١/٦/١٦ تقرر تحديد بث برامج القسم الكردي ساعة واحدة فقط من الساعة الثالثة الى الساعة الرابعة بعد الظهر وعلى موجتين احداهما قصيرة والاخرى متوسطة – كان هذا القسم يتم افتتاحه قبل القسم العربي بساعة واحدة.

وفي اواخر عام ١٩٤١ تم شراء اجهزة بث عديدة وتم ايضا تخصيص الموجات القصيرة والمتوسطة القديمة للقسم الكردي وادى ذلك كله الى اطالة بث هذا القسم فاصبح ساعة ونصف حيث يبدا من الساعة (٥،٠٠) مساءا الى (٦،٣٠) مساءا واحتوى المنهاج على الاخبار الداخلية والخارجية واذاعة حفلات المطربين اضافة الى احاديث يومية حول المجالات الاجتماعية والتربوية والزراعية والرياضية ، وتضمن ايضا برنامجاً خاصاً للاطفال كانت تقدمه لطفية قزاز بمساعدة لطيفة قفطان وناجية قزاز وهو برنامج اسبوعي عبارة عن قصة للاطفال او نصيحة للتربية الجيدة وتنمية الاطفال، ولم يخل المنهاج من البرامج السياسية فقد احتوى على برنامج (تعليق سياسي) الذي كان يتناول المواضيع الصادرة في الصحف ويترجم الى اللغة الكردية .

قررت اذاعة بغداد وابتداءً من يوم السبت المصادف ٢٢/ ٧ /١٩٤٤ تخصيص وقت مستقل للاذاعة الكردية يبدأ من الساعة (٤،١٠) الى (٤،٥٥) مساءً وذلك على الموجة نفسها التي تبث عليها اذاعة بغداد برامجها لان المنهاج الكردي كان يختتم مواد برامجه بالسلام الملكي في الوقت الذي تفتتح فيه الاذاعة العراقية بث برامجها .

بدأت الاذاعة الكردية تتسع قليلا في مواد برامجها ضمن نفس المساحة الزمنية المحددة لها ومن المواد التي بدأت تاخذ حيزا ضمن الفترة الزمنية برنامج (تعليقات على الحوادث العالمية) ثم يليه الاحاديث الدينية خلال شهر رمضان المبارك وكان ذلك في شهر اب سنة ١٩٤٤. دخلت المواد الثقافية لاول مرة الى منهاج الاذاعة الكردية في ١٩٤٤/١٠/٦ وكانت بعنوان (من الادب العربي) .

وفي اواخر عام ١٩٤٤ كانت دار الاذاعة مؤلفة من استوديو للرقابة واخر لبث الاخبار وغرفة يجلس فيها المذيع الفني ومقدم المادة الاذاعية سواء أمتحدثاً او اذاعيا وخلف هذه الغرف الاربعة المجتمعة يوجد استديو لبث بعض الاغنيات الكردية وغرفة للمكتبة الصوتية ، اما الحفلات الغنائية فكانت تبث على الهواء مباشرة وكان عدد العاملين في تلك الفترة ضئيل جدا.

في عام ١٩٤٥ تغير الوقت المخصص لبث الاذاعة الكردية فاصبحت تبث من الساعة ٣،٢٥ الى ٤،٢٥ مساءا بعد ان كان وقت البث من الساعة ٤،١٠ الى ٤،٥٥ مساءاً ،اما الموجات التي تبث عليه برامجها فهي موجات متوسطة ٣٩١ م وموجتان قصيرتان ١٨، ٣٠ م و ٣٢،٤٢ م.

لقد كان الفشل والعجز حالتين متلازمتين للاذاعة ، فقد فشلت المحاولات العديدة في اصلاح الاذاعة بصورة عامة في مدة مناسبة بسبب المصاعب التي كانت مثقله بها والناتج عن رداءة الوضع المالي لها وقلة الابنية فيها وعقبات عديدة اخرى ،كما انه لايمكن قلب وتنويع مناهجها او ادخال ابواب جديدة عليها بسهولة لكي تكون مفيدة من الناحية العلمية والثقافية والفنية فضلا عن الامور الفنية المتردية.

تحركت الحكومة باتجاه الاذاعة في محاولة لاصلاحها فاصدرت نظاماً لتعديل نظام وزارة

الداخلية الذي اكد ارتباط الاذاعة بمدير ية الدعاية العامة والعمل على تحقيق هدفها في تنظيم امور الاذاعة وتحسينها لتحقيق الغاية المتوخاة منها على احسن وجه.

كما صدر أمر من وزير الداخلية الى مديرية الدعاية بالايعاز الى شعبة المباني في مديرية الاشغال العامة بالاسراع في وضع تصميم لاقامة ١٠ غرف لتشييدها على بناية الاذاعة فضلا عن ملحق للاستيديوهات وترك امر اختيار مكانه بعد التشاور مع رئيس مهندسي الاذاعة للاسلكي ،وأكد وزير الداخلية على هذا الطلب بسبب الضيق الذي تعاني منه الاذاعة ولاستخدامها كمكاتب للموظفين.

وأنجزت غرفتان واستديو وطارمة للاذاعة وتكونت لجنة للكشف النهائي عليها ،وانجز هذا العمل في شهر كانون الاول ١٩٤٧.

ان هذا الاهتمام الاداري بالاذاعة صاحبه اهتمام اخر بالمناهج ومستوى البث فكانت اول خطوة اقدمت عليها لجنة فحص الاحاديث والمناهج في الاذاعة هي دعوة كافة العلماء والادباء وارباب الفكر والقلم الى المساهمة في رفع المستوى الاجتماعي والثقافي للجمهور.

اما بالنسبة لبث الاذاعة لسنة ١٩٤٧ فقد استمر بالازدياد حتى بلغ ساعتين يبدا من الساعة ٤،٢٥ مساءً وينتهي عند الساعة ٦،٣٠ مساءً.

وفي شهر تموز من العام نفسه امتدت فترة البث لتصبح ٣ ساعات يوميا وكانت تبث برامجها من الساعة ٧،٢٥ مساءً الى الساعة ٩،٣٠ مساءً وعلى موجة قصيرة طولها ٤٢،٤٨ م ،

طلبت الاذاعة من وزارة الخارجية وعن طريق سفارتها استيراد الاسطوانات الكردية التي كانت تمتلكها الشركات الاجنبية، وكانت هذه الاسطوانات لكبار المطربين والمطربات الاكراد آنذاك منهم (ام جمال) ، ملا كريم ،كاويس آغا ،مريم خان) ، ،فضلا عن ذلك تم استيراد الآت التسجيل الاذاعي لاول مرة عام ١٩٤٨.

اما في سنة ١٩٤٩ فقد خُصصت ساعة واحدة لبث المنهاج الكردي ضمن الفترة الصباحية حيث تضمن المنهاج الاخبار والاغاني وعرض التمثيليات الاجتماعية والفكاهية الساخرة اضافة الى المنولوجات الفلكلورية الكردية التي كان يقدمها الفنان شمال صائب واندراوس خمو الذي اشتهر باسم باكوري ، وفي تلك الفترة عُين مترجمون ومذيعون وموظفون لأعداد البرامج والاغاني ،ومختصون في البرامج الثقافية والدينية والسياسية والتاريخية والاجتماعية ،الامر الذي ساهم في دعم وتطوير البرامج في الاذاعة الكردية من احاديث ومواد متنوعة.وفي بداية الخمسينات فكرت الحكومة بانشاء محطة اذاعة عالمية في منطقة ابي غريب لاسماع صوت العراق الى العالم ،بينما كانت محطة

الاذاعة والارسال اللاسلكية هذه تمر باحدى مراحل

الانجاز ،تم في مديرية الدعاية العامة تشكيل لجنة عليا جديدة للاذاعة هدفها تنظيم العمل في دار الاذاعة وبما ينسجم التطوير الجديد الذي كان من المتوقع ان تقبل عليه الاذاعة.

واول ماشرعت به اللجنة هو قيامها وبالتنسيق مع مديرية الدعاية العامة تنظيم ملاك ثابت لموظفي ومستخدمي دار الاذاعة ،وتضمن تعديل اجورهم على وفق درجاتهم الموضوعة في الملاك وتضمن هذا التعديل جميع الموظفين العاملين في مختلف فروع واقسام الاذاعة المؤلفة مما ياتي :-

١-قسم التمثيل :-

٢-القسم الكردي وكان يدار من قبل كامل امين باعتباره شعبة مستقلة .

٣-قسم الاخبار .

٤-قسم الادارة .

٥-القسم الفني .

٦-قسم الموسيقى .

٧-شعبة الاوراق .

وفي ظل الوضع الجديد للاذاعة ،درست اللجنة امكانية اعادة النظر باوقات البث وتنظيمها بوضع افضل وتغيير المناهج التي تقتضيها الحالة الجديدة وتعيين موجاتها وقررت دار الاذاعة تنظيم دورة تدريبية لمسجلي الاشرطة تؤهلهم لادارة الاجهزة الحديثة أسوة بزملائهم في دور الاذاعات الاخرى ،وبغية توسيع خدمات الاذاعة بواسطة النقل الخارجي للحفلات والمهرجانات وتسجيل الأغاني والاحاديث داخل العاصمة وخارجها تم شراء سيارة نقل خارجي لتضاف الى اجهزة الاذاعة والتسجيل المتنقلة ،ومن هنا بدأت فكرة تعيين المراسلين الاذاعيين فعين سعد الله صبحي مراسلا ومنصتاً لها في شمال العراق.

كان لافتتاح الاذاعة الجديدة في ١٩٥١/٥/٢ في منطقة ابي غريب ودخول الاجهزة الحديثة تأثير بالغ في تحسن مديات البث بشكل افضل، فبعد ان كانت قوة محطة الاذاعة لا تتجاوز كيلو واط ونصف اصبحت قوتها فيما بعد على موجتين قصيرتين كل منها بقوة(٢٠) كيلو واط والمتوسطة بقوة(١٦) كيلو واط .

وفيما يتعلق بالعمل الاذاعي فقد تحسن على نحو افضل ،خاصة عند دخول اجهزة التسجيل الصوتي الى الاذاعة ولاول مرة سنة ١٩٥١ ،وكان عدد هذه الاجهزة اثنين فقط حيث ابتدأت بتسجيل التمثيليات الاذاعية بواساطتها ،على شريط معدني رفيع وممغنط ،كما ان دخول اجهزة التسجيل وبدء العمل عليها ادى الى الاستغناء عن استخدام الاسطوانات التجارية وشراء اسطوانات اخرى جديدة نظرا لعدم صلاحيتها.

اما استخدام التسجيل فقد كان يتم بشكل مباشر ،أي تسجيل الاصوات والموسيقى والمؤثرات الصوتية في وقت واحد .

ان هذه الطريقة هي اصعب من التسجيل الذي يتم على مراحل ،أي تسجيل الاصوات اولا ومن ثم اضافة الموسيقى والمؤثرات بواساطة المونتاج.

وفيما يتعلق بالاخبار فان مديرية البريد والبرق العامة وافقت على اقتراح مديرية الاذاعة والارسال اللاسلكية واقدمت على نصب جهاز يقوم بالتقاط برقيات الاخبار التي ترسلها وكالة رويتر من لندن بشكل مباشر ويسجلها على شريط خاص.

ان هذه الخطوة ادت الى قيام قسم الانصات في دار الاذاعة الذي اخذ مهمة التنصت على الاذاعات الاخرى للاستفادة من بعض التغطيات الاخبارية او البرامجية .

وبالرغم من الخطوات الجديدة التي خطتها الاذاعة الا انها كانت مصابة بالقصور في واحد من اهم مواضعها الا وهو انقطاع البث بين حين واخر بسبب انقطاع التيار الكهربائي والذي ينعكس بدوره على البرامج التي تفقد الكثير مما قد تحمل من مزايا جيدة.

وفي عام ١٩٥٢ تقرر نصب محطة للاذاعة اللاسلكية في مدينة كركوك ، وعدت هذه القضية من الامور المستعجلة وذلك لرغبات الجهات المختصة بلزوم انشاء المحطة باسرع وقت ممكن ، وازاء رغبة الجهات المختصة قامت مديرية البريد والبرق العامة بايفاد احد مهندسيها الى مدينة كركوك لاختيار قطعة الارض الملائمة لانشاء محطة الاذاعة عليها ، وتم اختيار قطعة متروكة في محلة (المصلا) في مدينة كركوك.

وبعد انجاز البناية واصلت مديرية التوجية والاذاعة العامة في مخاطبتها ومطالبتها الجهات المختصة بضرورة الاسراع في نصب اجهزة الاذاعة ولكن بدون جدوى.

ولما كانت الجهات المختصة لم تستجب لتلك النداءات ضاعت امور هذه الاذاعة وانقطعت اخبارها مع الروتين العراقي المقيت .

وفي سنة ١٩٥٤ شيدت محطة الاذاعة في مدينة كركوك ونصب مرسلة متوسطة فيها لغرض التقاط المناهج الكردية من المرسلة القصيرة في بغداد ، واعادة بثها من كركوك لضمان سماعها في المناطق الشمالية بجلاء ووضوح.

وتزامن مع انجاز البناية بدء الاتصالات والمشاورات بين بعض الجهات العليا في الحكومة العراقية حول تغطية العراق باجهزة التشويش بغية ايقاف المد الدعائي القادم من اذاعات مصر وسوريا ، وفعلا نصبت احدى مرسلات التشويش في مدينة كركوك

واذا ما انتقلنا الى القسم الكردي في الاذاعة العراقية لوجدناها تضم استوديوهات ثلاثة وهي :-

١- الاستوديو الكبير وهو مخصص لاذاعة الحفلات الموسيقية والغنائية.

٢- الاستوديو الخاص بالمحدثين وقراء القران الكريم .

٣- الاستوديو الخاص بالمذيعين او مايعرف باستوديو البث .

وفي دار الاذاعة استوديو صغير يحتوي على عدة اجهزة تبث بواساطته البرامج الى المستمعين وترتبط به استوديوهات الاذاعة، وهذا الاستوديو يسمى استوديو البث ،وتضم هذه الغرفة عدة اجهزة صغيرة للتسجيل ، وتؤدي غرفة الرقابة او السيطرة الاذاعية دورا كبيرا في عملية النقل الخارجي والتي تشمل الحفلات والمناسبات المهمة.

خصصت الاذاعة العراقية ولاول مرة سنة ١٩٥٤ فترة بث صباحي للقسم الكردي تبدأ من الساعة ٨،٥٥ صباحا وتنتهي عند الساعة ١٢،٠٠ ظهرا ،وتبث هذه البرامج على موجة قصيرة طولها ٤٨،٩٠ م ، وتضمن المنهاج على مايأتي :-

١٨،٥٥الافتتاح

٩،٠٠ القران الكريم

٩،١٥برنامج بريد القراء

٩،٣٠ برنامج طلبات المستمعين

١٠،٠٠ الاخبار الخارجية (العالمية)

١٠،١٠ موسيقى

١٠،٢٠ اغنية لـ(طاهر توفيق)

١٠،٣٠ برنامج السوق في الاسبوع .

١٠،٤٠ برنامج طلبات المستمعين .

١١،٠٥ تمثيلية .

١١،٣٠ اغنية لـ(نسرين شيروان)

١١،٤٠ موسيقى

١١،٥٠ مدائح نبوية (دينية)

١٢،٠٠ الختام

اما الفترة المسائية فقد كانت تبدأ من الساعة ٣،٥٥ مساءا وتنتهي في الساعة ٧،٠٠ مساءا وتضمن المنهاج المواد الاتية :-

٣،٥٥ الافتتاح

٤،٠٠القران الكريم

٤،١٥مدائح نبوية (دينية)

٤،٢٠ حفلة غنائية عامة

٤،٥٠حديث

١٥،٠٠اغاني لـ(محمود محمد)

٥،٢٠ الاخبار الداخلية (المحلية)

١٥،٣٠اغنية لـ(شمال صائب)

٥،٤٠ حفلة موسيقية – فرقة الاذاعة .

١٥،٥٠الاخبار الخارجية (العالمية)

٦،٠٠عزف على العود (منير بشير)

٦،١٠اغاني لـ(احمد محمود)

٦،٣٠حفلة غنائية لـ(علي مردان)

٧،٠٠ الختام .

لاحظت الباحثة في ضوء اطلاعها على منهاج الاذاعة لسنة ١٩٥٤ انه زاد على المناهج الاذاعية المشار اليها ،احاديثاً دينية وصحية وثقافية وهي موزعة على ايام الاسبوع هذا فضلا عن ان برامج المنوعات احتلت مساحة اكبر من باقي البرامج الاخرى ،اما الاخبار فانها جاءت بعد برامج المنوعات وتضمنت الاخبار الداخلية والخارجية التي تستقيها من الاذاعة العراقية التي تأخذها بدورها من وكالات الانباء العالمية وتترجم من اللغة الانكليزية الى اللغة الكردية .

وبشأن معوقات العمل في الاذاعة الكردية فقد وجه العاملون في القسم الكردي تقريراً الى خليل ابراهيم مدير التوجيه والاذاعة العام في ١٩٥٥/١١/٢٧ وكشف التقرير عن الامكانات المتواضعة للاذاعة الكردية والمؤطرة بالمعاناة الكبيرة في العمل الاذاعي والذي نص على :-

(ان بعض الاسطوانات التجارية المحدودة العدد لايتعدى اذاعتها اكثر من عشرة دقائق يوميا ،اما الحفلات الغنائية المسجلة لكافة مغني ومغنيات الاذاعة الكردية المتجمعة لدينا في السنوات الاخيرة اكثرها اصبحت عديمة الفائدة وهذه الاشرطة هي المعول عليها في تنظيم فقرات المنهج اليومي بحيث لايمكن الاستغناء عنها ويتعذر علينا ملء مواد المنهج بدونها ،وقد ثبت عندنا بان اكثر هذه الاشرطة قديمة الاستعمال ،وكانت قد سجلت عليها مواد اخرى قبل ان تسلم الى هذا القسم ومن المعلوم ان المأمور الفني يمسح المادة القديمة ويسجل عليها المادة الحديثة ،وهي حفلاتنا الغنائية ، وقد اتضح بعد تكرار استعمال هذه الاشرطة ان التسجيلات القديمة تظهر ثانية وتختلط مع المادة الجديدة وتشوه الحفلة المسجلة عليها، وقد تجمعت لدينا الان مجموعة من هذه الاشرطة غير الصالحة للبث، هذا فضلا عن ان اكثر الحفلات تذاع على الجهازين الموجودين في هذا القسم واللذين قد اصبحا غير صالحين للتسجيل واذاعة الاشرطة نظرا لكثرة استعمالها ،كما وتوجد عدة اجهزة قديمة غير صالحة نهائيا ولايمكن الاستفادة منها لعدم اصلاحها من قبل المسؤولين المختصين منذ فترة طويلة، فيرجى تجهيزنا بجهازين جديدين وبعض الاشرطة الكافية ليتسنى لنا تعويض وسد نواقص المواد المسجلة غير الصالحة وذلك بالسرعة الممكنة لئلا نضطر الى اعادة المواد في مناهجنا وفي مدد متقاربة مما يسبب الملل للمستمعين). واجاب مدير التوجيه والاذاعة العامة على التقرير المذكور بما يأتي:-

(سبق ان بينت بمناسبات عديدة ان أجهزة التسجيل الموجودة لدينا اصبحت منذ مدة مستهلكة ولا تصلح لاغراض التسجيل اولا ، واذاعة الاشرطة عليها ثانيا، لذلك اصبح من الضروري تأمين جهازين لهذا القسم وبالسرعة الممكنة خشية توقف الاذاعة بصورة نهائية ، ذلك التوقف الذي حصل عندنا بين وقت وآخر).

وفي سنة ١٩٥٦ ،قررت الاذاعة الكردية تغيير موجاتها العاملة من موجه قصيرة طولها ٤٨،٩٠ م الى موجة قصيرة طولها ٩١ م و ٣٢٩٧ كيلو سايكل وهذا مما ادى الى زيادة بث الاذاعة الكردية حتى وصل بثها الى (٧) ساعات في اليوم مقسمة على فترتين ،الفترة الصباحية تبدا من الساعة ٧،٥٥ صباحا الى الساعة ١١،٠٠ صباحا ، اما الفترة المسائية فقد ابتدأ البث فيها من الساعة ٣،٥٥ مساءا الى الساعة ٨،٠٠ مساءا .

اتسم العمل الاذاعي خلال العهد الملكي بالتطور البطئ وبعدم القدرة على ان يكون بالمستوى اللائق ،وذلك يعود الى عدم الاهتمام بالاذاعة من حيث الاجهزة والمعدات وكذلك من حيث الملاك فقد كان عدد الملاك العامل في الاذاعة (٩) اشخاص جميعهم غير موظفين على الملاك الدائم وينتمون الى دوائر اخرى فضلاً عن عدم اهتمام رجال السياسة في ذلك العهد بالعمل الاذاعي كأداة في تنفيذ السياسة الداخلية ،ولم تدرك اغلب الحكومات العراقية بالعهد الملكي مدى خطورة واهمية الاذاعة في التأثير على الرأي العام محليا وعالميا حتى وقت متأخر جداً.

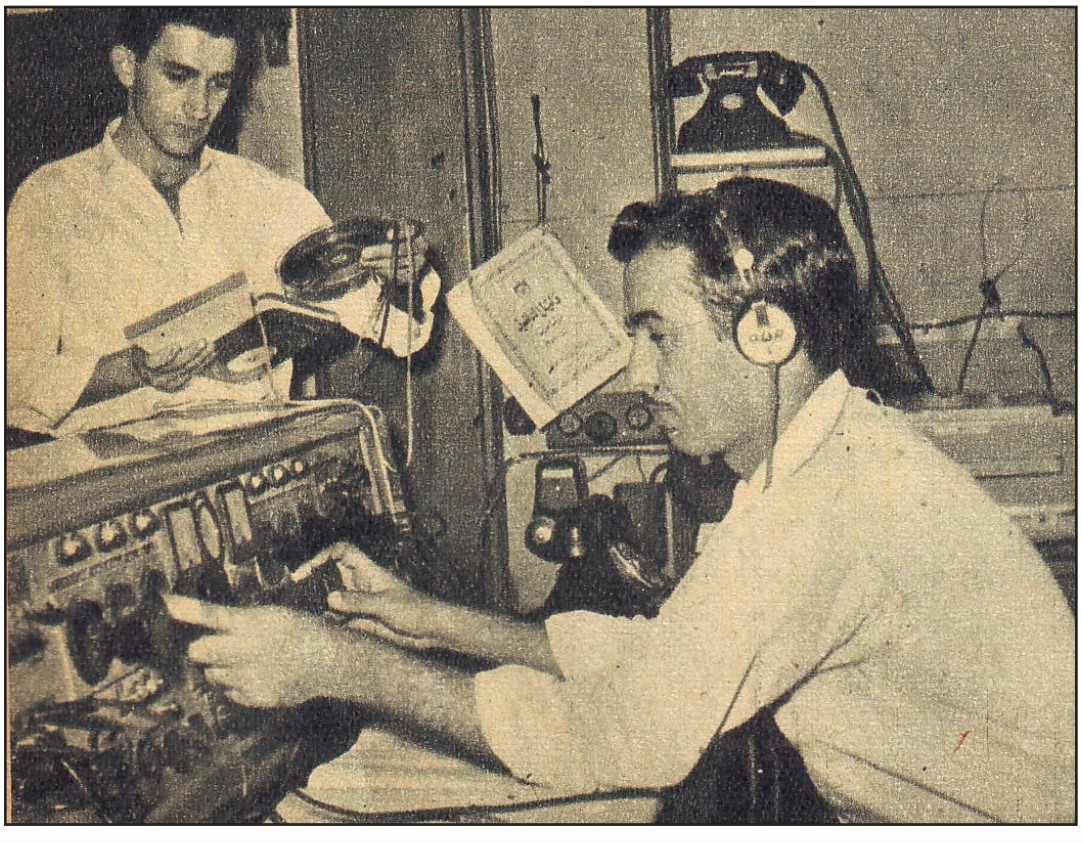

صورة وحكاية

جعفر لبجة

في صبيحة يوم ٤/ نيسان/١٩٥٣ جرت مراسيم تتويج الملك فيصل الثاني بصورة رسمية في قاعة مجلس النواب بحضور ولي العهد الامير عبد الاله ورئيس الوزراء والوزراء واعضاء مجلس الاعيان والنواب وقام رئيس مجلس الاعيان السيد محمد الصدر بتحليفه اليمين لم تكن هذه المراسيم الا في غاية البساطة والاختصار فتم كل شيء في وقت قصير واصبح الملك فيصل الثاني هو القائم على عرش العراق دستوريا في تلك الليلة اقيمة حفلة عشاء للوفود الاجنبية وكبار رجال الدولة في حدائق قصر الرحاب وتسنى لي مقابلة الملك منفردا فقدمت له التهاني بهذه المناسبة كما تبادلت معه احاديث قصيرة عن ذكريات ايام التاسيس مع جده الملك فيصل الاول وصراعنا المشترك لوضع حد لاطماع وتدخلات الانكليز في الشؤون العامة للعراق وجدته مستمعا جيدا يعي ما يقول ويتردد بعض الاحيان وبحذر شديد خوفا من زلة لسان او جواب قد يقود الى تفسير غير متوقع من قبل الجالسين في الوقت الذي كنت انا لوحدي معه وبحضور ضباط الحرس الملكي الخاص ولهذا وجدته خجولا حذرا ميالا للانطواء الذاتي ينتظر من الشخص الاخر المبادرة في الكلام وهذا دليل اما على تواضعه او على انطوائه وخجله.

ذاكرة عراقية
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: علي حسين
التحرير: رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون